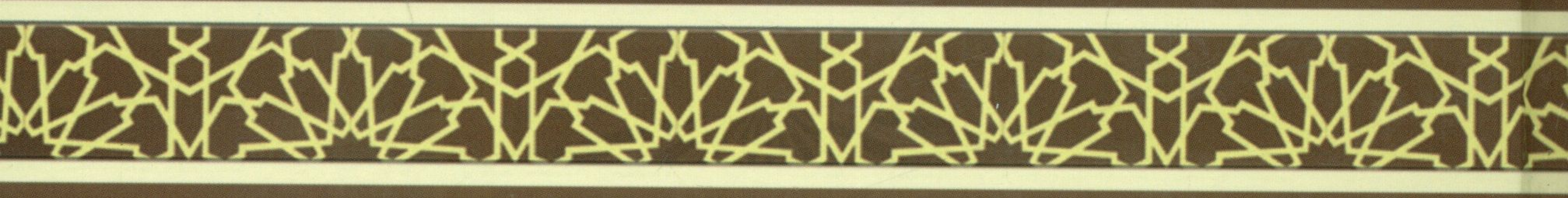
مجمع الأمثال للميداني

دراسة لغوية دلالية





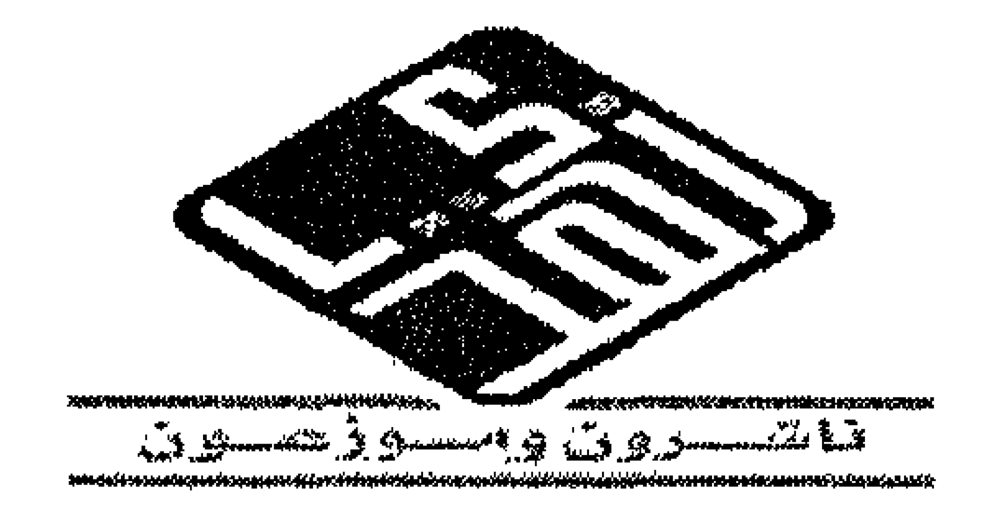
زهدي
ناشرون وموزعون

الدكتور
أحمد جاسر عبد الله عبد الله

مجمع الأمثال للميداني
دراسة لغوية دلالية

الطبعة الأولى

1437 هـ - 2016 م



دار زهدي للنشر والتوزيع
المملكة الأردنية الهاشمية
عمان – الجامعة الأردنية
هاتف : 0096265343052
فاكس : 0096265356219
خلوي : 00962795555279
E: dar.zuhdiforpublishing@hotmail.com

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

2015/5/2046

رقم التصنيف : 414.3

المؤلف ومن في حكمه :

احمد جاسر عبد الله

الناشر

دار زهدي للنشر والتوزيع

عمان – الأردن

عنوان الكتاب :

عبد الله، احمد جاسر

مجمع الأمثال للميداني دراسة لغوية دلالية / احمد جاسر عبد الله .

الواصفات : / اللغة العربية // الأمثال/

ISBN: 978-9957-612-01-6

مجمع الأمثال للميداني

دراسة لغوية دلالية

تأليف الدكتور

أحمد جاسر عبد الله عبد الله

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

إن الوقوف على المَواطِنْ اللُّغوية في الكتب التُّراثية من المهمات الجليلة، لذا وقع الاختيار على البحث في هذا الموضوع منتخباً كتاب مجمع الأمثال، للوقوف على الصيغ اللُّغوية وما أفضت إليه من أبعادٍ دلاليّة، وهو رافد من روافد التحليل اللغوي، أراد الكاتب أن يقف على الجانب اللغوي محلّلا المفردات التي استعملت فيه، والجانب البياني كذلك.

ويعدُّ مجمع الأمثال للميداني كتابًا جليل الفائدة ؛لأنه استوعب الأمثال العربية القديمة، وزاد في أهميته أنه دوّن طائفة من الأمثال المولَّدة، وقد اهتم العلماء به اهتماما عظيما فقام بعض العلماء باختصاره، وبعضهم بنظمه شعرا، ليسهل على الدارسين تناول مادته العلمية، ونقل حفظها من السطور إلى الصدور، وهي طريقة ناجعة في حفظ العلوم.

وكما نعلم فإن الأمثال تعد المنهل العذب الذي يقصد حين دراسة تراث الأمة الفكري والاجتماعي واللغوي، فلكل مثل من الأمثال قيمته على المستوى الدلالي، والمستوى النحوي، والمستوى الصرفي، والمستوى البلاغي؛ لذا فلا بد من الاهتمام بتلك الأمثال ودراستها لحفظ جزء مهم من التراث العربي وإغناء الدراسات التي تدور حولها. ومما يشار إليه أن كتب اللغة حوت بين طياتها من الأمثال ما نوهت به؛ ليكون شاهداً نحوياً على القواعد اللُّغوية؛ ليعدّ بذلك أحد مصادر الاستشهاد في لغة العرب.

على الرُّغم من وجود الدراسات حول كتاب الميداني، لم يجد الكاتب فيما يعلم، دراسة مستقلة تتصل بدراسة كتاب مجمع الأمثال من الناحيتين: اللغوية والدلالية، وإن وجدت دراسات عالجت المستوى النحوي في الجملة العربية في موضوع الأمثال من حيث المطابقة أو المخالفة، أو المستوى الصوتي ودراسة الصوت المفرد، والمقطع الصوتي، والجملة، فقد وجدت أن أجعل كتابي الموسوم: (مجمع الأمثال للميداني دراسة: لغوية دلالية) رافدًا للدراسات السابقة للكتاب، متوقفا عند الصياغة اللغوية من حيث بناء الجملة وفق المستوى النحوي، متناولاً الجملة الاسمية في الأمثال من حيث المبتدأ وصوره، والخبر وأنواعه، والجملة الفعلية من حيث الفعل، والفاعل، وتناول المستوى الدلالي من حيث ورود الصيغ كالابتداء بالنكرة، وتناول المستوى الصرفي واللفتات البيانية.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾

[سورة التوبة: 105]



الإهداء

تحدثني نفسي ان لو اهديت هذا الكتاب لأهديه لمن؟ واجيبها: ساهديه الى...
كل من احب كتاب الله بما فيه وكل من احب سنة المصطفى عليه السلام.

الى من كان لهما عظيم الاثر في نشأتي وبنائي المعرفي ، أبي وأُمي .

الى أعز الناس ...وأغلى الأحبة رمز العطاء وجوهرة التفاني ...الى من ادين لها بعد الله بكل الفضل والتقدير ، وكل الحب والاحترام ...رفيقة دربي وشريكة حياتي، زوجتي الغالية إنسانة ومحبة وصديقة.

الى فلذة كبدي وشمعة حياتي (يامن) الذي كرمني به الله عزوجل في هذه الدنيا ليكون شمعة مضيئة بالعلم والخير وزينة في الدنيا ...ادامه الله لي نورا آتفيأ ظلاله كلما مسني نصب أو لغوب يضيء لي دربي،ويمنحني حب الحياه.

الى الفاصل عمر الاسعد



المحتويات

الفصل الأول : الأمثال العربية عبر العصور الأدبية

المبحث الاول : مفاهيم الامثال والدراسات اللغوية والدلالية

المقدمة:

لما كانت الدراسات اللغوية و الدلالية معيناً لا ينضب، رأى الكاتب أن يتناول كتاب مجمع الأمثال، إذ وردت دلالات لأبُدّ من توضيحها بشكلٍ تحليلي لبيان مواطن اللفتات اللغوية، والأغراض الدلالية.

وسنقوم بتوضيح بعض التساؤلات مما يفيذ الدارس عند البحث في مثل هذا النوع من الدراسات :

- هل استعملت في الأمثال العربية أساليب لغوية خاصة؟
- ما الغرض الذي تؤديه هذه الأساليب؟
- ما النواحي التي أضافتها الأساليب اللغوية إلى أمثال الكتاب من دلالات؟
- هل احتوت الأمثال الأساليب الدلالية المتنوعة؟

ستقوم هذه الدراسة بتسليط الضوء على كتاب مجمع الأمثال للميداني، وتحليل الناحية اللغوية فيه؛ لتكون دراسة تقف على الغاية اللغوية والدلالية في هذا الكتاب، إذ سيعرج البحث على اللغة المستعملة التي وردت في السياق بالإضافة إلى توضيح ما عكسته من معانٍ ودلالات، مع العلم أن كل ما ورد في سياق الأمثال من مفردات وأساليب له هدف ودلالة لا يمكن الاستعاضة عنه بغيره ليؤدي تلك الدلالة.

تختص هذه الدراسة بمناقشة الناحيتين: اللغوية والدلالية في كتاب مجمع الأمثال، وتحليل صيغها، على أنني سأختار من هذه الصيغ نماذج في الدلالة والأسلوب، اكتفاءً بها عن مثيلاتها.

مفاهيم الأمثال والدراسات اللّغوية والدلالية

- الأمثال: هي أقوال قصيرة موجزة تختزن مواقف معينة وخبرات خاصة، وهي سهلة الحفظ والتلقين، وتستخدم في مواقف مشابهة، وهي تحمل انعكاسا واضحا لشقاء الناس وسعادتهم وضعفهم وفقرهم وبؤسهم، والتعبير عن أحوالهم النفسية وسلوكياتهم اليومية، ويعبر عنها بالشعر والنثر والأسجاع.
- الأمثال المولدة: هي الأمثال المستحدثة التي سارت على ألسنة المستعربين، وهي أمثال لا مجال للاحتجاج بها في النحو واللغة، ولا يعني هذا نفي البلاغة أو الفصاحة عنها.
- الدراسة اللغوية: دراسة تقوم على تتبع ألفاظ وتراكيب لغوية مخصوصة استعملت في صياغة الأمثال، أو تكرّر ورودها فيها، وقد تقود هذه الدراسة إلى تصور معجم لغوي خاص بأمثال الكتاب.
- الدراسة الدلالية: يقصد بها تتبع الدلالات الخاصة بالألفاظ والتراكيب اللغوية، وكذا الدلالات الخفية الكامنة وراء الأساليب اللغوية من تقديم وتأخير وحذف.

المبحث الثاني : الأمثال العربية ودراساتها المختلفة

المقدمة :

لفتت الأمثال أنظار العلماء واللغويين القدماء، كما شدّت انتباه الباحثين المحدثين إلى متابعة هذه الظاهرة اللغويّة، وانعكس ذاك الاهتمام بتصنيف القدماء مصنفات عديدة، دارت حول جمع الأمثال العربية وشرحها وتبويبها، وذكر المناسبة التي قيلت فيها، وكثرت هذه المصنفات عبر العصور الأدبية المتعاقبة حتى أخذ اللاحق منها عن السابق، ولكنها حفظت في مجملها تلك الأمثال، وأصبحت مستودعًا لها ومرجعًا ثمينًا لا غنى عنه في المكتبة العربية. أمّا الباحثون المحدثون فقد تصدّوا لدراسة هذه الأمثال، وتناولوها من وجهات نظر مختلفة، فقد اعتنوا بشرحها وتبويبها وبيان معانيها، وعكفوا على تناولها بدراسات متباينة.

تقوم الدراسة على المنهج الوصفي (تحليل المحتوى) الذي يَعمَدُ إلى وصف ظاهرة من الظواهر والعوامل السياقية التي تتحكم بها في بعض الأمثال العربية، وذلك بالوقوف على صيغ التركيب اللغوي والبلاغي الواردة فيها، لبيان ميزاتها عن الأقوال الأخرى، وتحليل دلالاتهما بالاستناد إلى كتب اللغة، والبلاغة العربّية، و تحليل الألفاظ وفق السياق الواردة فيه، والصور وفق الدلالات التي ترمي إليها.

الامثال العربية دراسة تاريخية تحليلية

- أفرد قطامش (1988) كتابا بعنوان: (الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلية)، تحدث فيه عن تعريف المثل، ومضربه، ومورده، والحكمة ومعناها والعلاقة بينها وبين المثل، وأقوال العرب وكلماتهم السائرة، والفرق بينها وبين الأمثال، وأنواع المثل العربي، ومن ثم انتقل إلى الدراسة التاريخية حيث تحدث عن مصنفات الأمثال العربية، وتناول هذه المصنفات على امتداد القرون، وقام بالدرس والتحليل لهذه المصنفات وأثبت ما ورد فيها من خصائص، مبينا أن بعضها يغلب فيه الاتجاه اللغوي الذي يفسر الغريب، ومدى اعتناء هذه المصنفات بإيراد الشواهد الشعرية، واهتمامها بذكر موارد الأمثال وأصولها، وإلى غير هذه الخصائص المبثوثة في تلك الكتب.

وتحدث عن تدوين الأمثال في العصرين: الأموي والعباسي: "الأول والثاني"، والأطوار التاريخية للأمثال، وتحدث عن الأمثال في الدراسة اللغوية حيث تناول موضوع تعدد الروايات في الأمثال، والاستشهاد بالأمثال على مفردات اللغة وتراكيبها، ومعاني الأمثال بين الوضوح والغموض، وتناول في دراسته الأدبية للأمثال بلاغة المثل والصور البيانية فيه، ودور الشعر في نمو الأمثال وت[illegible]ـاثرها، وقصص الأمثال، وأما الدراسة الاجتماعية للأمثال فق[illegible]ـوا [illegible]يها الأخلاق الاجتماعية والفردية، والعادات والم[illegible] الطبيعية من حيث التمثل بالحيوان والنبا[illegible] [illegible]لجبال والأ[illegible] والبلدان.

الأمثال في القواعد اللغوية

- طرح الشريقي (1994م) رسالة بعنوان: (الأمثال في القواعد اللغوية)، تناول فيها الدراسات التي تحدثت عن الأمثال، وبعد ذلك انتقل إلى الحديث عن تعريف المثل في اللغة والاصطلاح، وتعريف المثل في كتب الأمثال، والفرق بين القول والمثل، وصعوبة التفريق بينهما في غالب الأحيان، وتحدث عن نظرة النحاة للمثل أهو ضرورة أم سعة، وناقش العبارات التي تتردد على ألسنة النحويين عن الأمثال كقولهم في المثل أنه لا يتغير، وغير ذلك من تلك الأقوال، وناقش الاختلاف في روايات المثل في كتب النحو، وتحدث عن الأمثال وموقعها من الشواهد النحوية. وبين أن ما ورد منها شواهد نحوية في كتب النحو المشهورة، واستدل بها النحاة في صياغة القواعد اللغوية قليلة نسبيا. وتعقب الأمثال التي وردت شواهد على قضايا صوتية وصرفية، وناقشها بالدرس والتحليل. وبين أن ما ورد في كتب النحو من الأمثال التي خالفت القواعد اللغوية يعدُّ من الضرورات كما أوضح علماء النحو، ولم تتعرض دراسته للأمثال من الناحية الدلالية، لأن الغرض المسوق من الدراسة يقوم على تحليل الأمثال الواردة في كتب النحو من الناحية الصوتية والصرفية والتركيبية.

موسوعة امثال العرب

- طرح يعقوب (1995) دراسته: (موسوعة أمثال العرب) في ستة أجزاء، وخصَّ الجزء الأول من الموسوعة بدراسة مفصلة للأمثال، تناول فيها: تعريف المثل في اللغة والاصطلاح، والفرق بين الحكمة والمثل، والفرق بين المثل والعبارة التقليدية، والفرق بين المثل والنادرة، والمقصود من عبارة: ضرب المثل، ونشأة الأمثال وتطورها التاريخي. ثم انتقل للحديث عن أسلوب الأمثال من حيث البلاغة والإيجاز وإصابة المعنى وحسن التشبيه وجودة الكناية والاستعارة والسجع والمبالغة والموسيقى وتنوع الصيغ اللغوية، وعدم تغير الأمثال مهما اختلفت الأحوال التي تضرب بها، وتحدث بعد ذلك عن مورد الأمثال من حيث النظر إلى أسبابها، وأسلوب الأمثال، وأهميتها.

ثم عرض للكتب المتخصصة التي ألفت فيها على امتداد القرون، نحو كتب أمثال القرآن الكريم، وأمثال النبي صلى الله عليه وسلم، وأمثال الإمام علي كرم الله وجهه، وأمثال الشعراء، وأمثال الأنبياء والفلاسفة وغيرهم. ثم عرض لكتب الأمثال العامية، فذكرعددًا منها، وعرض بعد ذلك لكتب الأمثال اللبنانية، ثم تحدث عن الدراسات الأوروبية لأمثال العرب. وقام في الأجزاء الأربعة التالية من موسوعته بجمع كل كتب الأمثال حسب تسلسل تأليفها، ثم أفرغ مضامينها ومحتواها في هذه الموسوعة مرتبة حسب الحروف الهجائية، وقام بتوثيق كل مثل وتخريجه في كتب الأمثال التي ورد

فيها، فصارت مراجعة هذه الموسوعة بمثابة مراجعة لسائر كتب الأمثال، لأنها أفرغت فيها.

وقام بشرح المعاني المرادة من كل مثل، وبيان أصولها، وأثبت ترجمة موجزة لكل علم من الأعلام التي ترد عنده أول مرة في المتن، وتحدث عن مسألة تعدد الروايات للمثل الواحد، موردا الروايات المتعددة، محيلا إلى رواية معينة إذا وقع الاختلاف في الكلمة الأولى من المثل، أما إذا وقع الاختلاف في غير هذه الكلمة فكان يثبت الروايات المتعددة المختلفة في مكان واحد، وميّز بين الأمثال الفصيحة والمولدة، وأشار إلى الأمثال المولدة بكلمة: (مولّد).

وأما في الجزء السادس من موسوعته فقد عقد فيه مستدركا على الموسوعة حيث ظهر له بعد الانتهاء منها كتاب (نثر الدر) للوزير الكاتب أبي سعد منصور بن الحسين الآبي، ووجد أن بعض الأمثال التي تضمنها كتاب الوزير لم يثبت في موسوعته، فأثبت هذا المستدرك ليكون عمدة الاتكاء فيه على كتاب نثر الدر للآبي، ليورد الأمثال التي أفرغها من كتابه في موسوعته. وقد أثبت في مستدركه ثلاثة ملاحق، الأول منها للحديث عمّا يتمثل به من الشعر، والثاني فيما ضُرب به المثل، والثالث في المُكنَّى والمبنَّى. وختم موسوعته بعدد من الفهارس عمد إلى تقسيمها إلى ستة أقسام خصّ القسم الأول منها بالآيات القرآنية الكريمة، والثاني بالأحاديث النبوية الشريفة، والثالث بالأشعار، والرابع بالأرجاز، والخامس بالأعلام، والسادس بالمصادر والمراجع.

الجملة الفعلية ودلالاتها في مجمع الامثال للميداني

- قدّم شاهين (1996م) أطروحة بعنوان: (الجملة الفعلية ودلالاتها في مجمع الأمثال للميداني)، تناول في فصولها: تعريف المثل، وبعض الفنون الأدبية الأخرى، من مثل: الحكمة، وأقوال العرب، وعرض الفروق بينها وبين المثل. وتضمن بحثه أيضا عرضا لأهمية الأمثال، والمراحل التي تم فيها تدوين الأمثال، ومدى الاحتجاج بها، ومدى سيرورتها في الكتب اللغوية والنحوية.

ونظر إلى الجملة الفعليّة في كتب النحو، ليرى مدى تضمن الأمثال مظاهر الجملة الفعلية، مستشهدا على ذلك بما ورد في مجمع الأمثال من الجمل الفعلية ومضامينها كالحديث عن الفعل والفاعل، وحكم الفعل مع الفاعل، وعلامات إعراب الأفعال، والحديث عن نائب الفاعل، وبناء الفعل للمجهول، وبعدها انتقل للحديث عن الخلاف حول بعض الأساليب العربية، مثل: النداء، والاختصاص، والتحذير والإغراء، والاشتغال، والنعت المقطوع، والحذف وجوبًا في عامل المصدر، وعامل النصب في المفعول معه، ونعم وبئس أفعلان هما أم اسمان؟ وأفعل التعجب أ اسم هو أو فعل؟ وتقدير العوامل المحذوفة، وتحدث عن وظيفة الجملة في الدرس البلاغي، والخبر، وأغراض المتكلم من الخبر، وأضرب الخبر، وخروج الخبر عن مقتضى الظاهر، والإنشاء، والأمر، والنهي، والاستفهام، والتمني، والنداء، والقسم. وعقد الموازنة بين الجملة الفعلية في مجمع

الأمثال والجملة الفعلية نحويا، وعقد موازنة بين الأساليب البلاغية وما ورد في مجمع الأمثال من أضرب البلاغة، وما جاء منها مطابقا لكتب البلاغة، وما جاء منها زائدا عند البلاغيين.

الخصائص الاسلوبية للمثل في كتاب مجمع الامثال للميداني

- وضع السلفي (1999) رسالة بعنوان: (الخصائص الأسلوبية للمثل في كتاب مجمع الأمثال للميداني)، تناول في فصولها: المستوى الصوتي، فدرس موسيقا الأصوات والمقاطع، وتناول من خلالها موسيقا الصوت المفرد، وموسيقا الصوامت والصوائت، ومن ثم انتقل إلى موسيقا المقاطع، فدرس المقاطع المتصلة والمقاطع المنفصلة، ودرس خلال طيّات المستوى الصوتي موسيقا الألفاظ القائمة على توافق اللفظ واختلاف المعنى، وموسيقا الألفاظ القائمة على توافق اللفظ والمعنى، وموسيقا الألفاظ القائمة على توافق الأطراف، وموسيقا الجمل والتراكيب، وإسهام كل ذلك في تشكيل المثل، وكان يدرس الوظائف والدلالات التي تؤديها هذه الأشكال الموسيقية، وعرّج على الأمثال الشعرية فدرس بنيتها الصوتية، وعقد مقارنة بين وضع المثل في الشعر والنثر، وفي المستوى التركيبي درس مظاهر الإيجاز بنوعيه: إيجاز القصر وإيجاز الحذف، ووظائف الإيجاز، وبعدها انتقل إلى دراسة البنية الثنائية، وتناول فيها مظاهر الربط اللفظي من خلال دراسة الربط بالواو، والفاء، والربط بأداة الشرط، وبعدها تناول الربط المعنوي، وتحدث عن المظاهر التركيبية للنهي والاستفهام والنداء والتمني، ودرس ظاهرة التقديم والتأخير، وأشكال التقديم والتأخير، والعلاقات القائمة بين المتقدم والمتأخر، ووظائف التقديم والتأخير، وفي المستوى الدلالي اكتفى بدراسة الصورة والاستعارة التمثيلية، والكناية، والصورة الداخلية القائمة

على التشبيه، والصورة الداخلية القائمة على المجاز، والمقابلة، والعلاقات القائمة بين الألفاظ المتقابلة.

المراة العربية ودلالاتها في مجمع الامثال للميداني

- أعد الباحثان بني ياسين والربابعة (2001م) كتابا بعنوان: (المرأة العربية ودلالاتها في مجمع الأمثال للميداني)، وهو دراسة نقدية، تناول فيها الباحثان المرأة من أربعة محاور رئيسية، خُصّصَ المحور الأول للكلام على المرأة في جوانب متعددة من مراحل حياتها المختلفة: حيث بيّنا المرأة الوليدة التي كانت توأد في الجاهلية، وتناولاها فتاة معجبة بأبيها، وتناولاها عروسا، وتناولاها حبلى، وتوقفا في حديثهما عن المرأة المنجبة، والمطلقة، والأم، والحرة، والثكلى، والرقوب.

وتناول المحور الثاني المرأة ووظيفتها الاجتماعية، حيث فصلا الوظائف الاجتماعية المتعددة للمرأة التي كانت تمتهنها في حياتها، فقد احتلت المرأة الجوانب المتعددة في العمل، فكانت شريكة الرجل في أغلب الأعمال التي تتمكن من القيام بها، وفي ذلك يظهر لنا أنها كانت عالمة وعاملة ونقادة وداية وجارية وأمة ومغنية ومحاربة وحاكمة.

وتناول المحور الثالث المرأة وجمالها، وخلصا من ذلك إلى نتيجة هي أن جمال المرأة احتل أكثر من نصف الأمثال، مما دلنا على أهمية هذه السمة، وأبرزا كذلك تركيز الأمثال على المرأة من الناحية الجسدية قبل النظر في السمات النفسية.

وأما المحور الرابع فقد تناولا فيه زنى المرأة وأسبابه، والدوافع التي كانت تدفع المرأة للزنى، وبيّنا أن أبرز أسباب الزنى في أمثال العرب نظرة

المرأة إلى الـرجل المسن، وعمل المرأة منفردة، والحاجة الماسة للإنجاب، وجبن الرجل وضعف شخصيته، وغياب الزوج.

يتبين من خلال ما سبق أنها تناولت جوانب مختلفة عمّا ستتناوله هذه الدراسة، فدراسة قطامش ركزت على مفهوم المثل، وأنواعه، ومصنفات الأمثال، والأطوار التاريخية للأمثال العربية، وتناول تعدد الروايات في الأمثال العربية، والاستشهاد بالأمثال على مفردات اللغة، ومعاني الأمثال بين الغموض والوضوح. وتناولت دراسته الأدبية للأمثال مكانة الأمثال بين فنون الأدب، وبلاغة الأمثال، وآخر فصول دراسته كان دراسة اجتماعية للأمثال العربية.

وأمّا دراسة الشريقي فقد عرضت للأمثال على أنها شواهد نحوية ومناقشة ذلك، أما دراستي هذه فقد قعدت عن دراسة الأمثال كشواهد نحوية مما يُظهر الفرق بين الدراستين.

موسوعة إميل يعقوب

أما دراسة إميل يعقوب فهي موسوعة شاملة قدّم لها بدراسة عامة للأمثال في الجزء الأول من الموسوعة، ثم أفرغ الأمثال العربية كلها في أجزاء الموسوعة. والحق أن هذه الموسوعة تغني عن كتب الأمثال من حيث إنها تقدم للباحث المثل موثقا ومشروحاً. وإذا كان لدراستي أن تلتقي مع هذه الموسوعة فإن هذا الالتقاء يقع في الجزء الأول منها، وهنا أذكر أن دراسة يعقوب الأمثال في الجزء الأول لم تعرض لما ستقدمه هذه الدراسة من معطيات تتجه نحو الدراسة اللغوية الدلالية للمثل.

أما دراسة شاهين فقد قامت على تعريف المثل، وبعض الفنون الأدبية الأخرى المتصلة به، من مثل: الحكمة، وأقوال العرب، وعرضت الفروق بينها وبين المثل. وتضمن بحثه أيضا عرض أهمية الأمثال، والمراحل التي تم فيها تدوين الأمثال، ومدى الاحتجاج بها، ومدى سيرورتها في الكتب اللغوية والنحوية، و يظهر للباحث أن مبنى هذه الدراسة على تناول الأمثال في الجملة الفعلية من جانب، ومن جانب آخر الخلاف في بعض أساليب العربية، أما دراستي هذه فستعرض لنماذج متفردة من الأمثال لبيان معناها ولمن تُضرب وتخريج شواهدها وشرحها وتحليلها.

وأمّا دراسة السلفي فقد ركزت على الوظائف الصوتية التي تؤديها ألفاظ المثل، وكان يدرس الوظائف والدلالات التي تؤديها هذه الأشكال الموسيقية، وفي المستوى التركيبي درس مظاهر التقديم والتأخير، والإيجاز،

وفي المستوى الدلالي اكتفى بدراسة الصورة والمقابلة، وأمّا دراستي هذه فلن تتعرض لدراسة الصوت، وما تؤدية المقاطع الصوتية في دراسة الأمثال.

أما دراسة بني ياسين والربابعة فرصدت جانب المرأة من أربعة محاور رئيسية، تناولا فيها الجوانب المتعددة لها، والوظائف الاجتماعية، والحديث عن جمال المرأة، وزنى المرأة وأسبابه.

وسوف تفيد هذه الدراسة من تلك الدراسات السابقة، فتنظر إلى الجوانب اللغوية في دائرة أكبر من دائرة الجملة الفعلية واستخدامها في الأمثال، وتضيف إلى الألفاظ ودلالاتها، الألفاظ المكررة والمنتقاة في صياغة المثل، إضافة إلى الوقوف على الأمثال الفصيحة من الأمثال المولدة، وكذا تتبع الدلالات واللغة المستخدمة في الأمثال ، أَما هذه الدراسة فستمعن في الجانب الدلالي من حيث استخدام الأساليب البلاغية المتعددة من تشبيه واستعارة وطباق وغيرها من أساليب الإنشاء الطلبي، والإنشاء غير الطلبي، والوقوف على لغة الأمثال نفسها، ومدى مناسبة الألفاظ للدلالات، ومعالجة الأمثال من حيث اللغة والأسلوب والخصائص، إضافة إلى الموضوعات التي تناولتها الأمثال، ومدى التطابق والتشابه بين الأمثال العامية والفصيحة، والنظر إلى ضرب المثل ومورده، وتخريج الشواهد الواردة في الأمثال، وبيان معاني الأمثال المنتقاة وشرحها.

الفصل الثاني

فن الأمثال في الأدب العربي

المبحث الأول : اهميَّة المثل

أهميّة المثل:

تعدُّ الأمثال المنهل الذي يراد حين دراسة تراث الأمة الفكري والاجتماعي واللغوي وفق عاداتها وتقاليدها، فلكل مثل قيمته على المستوى التحليلي للغة، ولذا دعت الحاجة إلى الاهتمام بتلك الأمثال لما لها من أهمية في حفظ تراث الأمة اللغوي. وينقل لنا الزمخشري قوله في الأمثال: "هي قصارى فصاحة العرب العرباء، وجوامع كلمها، ونوادر حكمتها، وبيضة منطقها، وزبدة حوارها، وبلاغتها التي أعربت عن القرائح السليمة، والركن البديع إلى ذرابة اللسان وغرابة اللسن، حيث أوجزت اللفظ فأشبعت المعنى، وقصرت العبارة فأطالت المغزى، ولوحت فأغرقت في التصريح، وكنّت فأغنت عن الإفصاح "[1].

وبهذا يكشف الزمخشري جوانب مهمة في دراسة الأمثال، ويدعو إليها من خلال إشارته إلى أنها منبع الفصاحة لدى العرب، وترمز إلى جوامع الكلم وبلاغته ، وتشتمل على الحكمة البالغة، وبراعة المنطق في التفكير، إضافة إلى الإيجاز دون الإخلال بالمعنى، والقصر في الجمل المسوقة فيها.

(1) المستقصى في أمثال العرب ص2.

وقد شغل العلماء القدامى بتأليف كتب الأمثال، وبعضهم تناولها بالدرس والتحليل، والشرح والتفسير، إدراكا منهم لأهميتها، وأهمية البحث فيها، فقد حوت طيّات كتبهم العلوم اللغوية، والمسائل النحوية، والأسرار البلاغية.

ويرى الباحث أهمية الأمثال من خلال إبرازها الكلام والمعاني الدلالية المرادة، وأنها تكسو الكلام الطلاوة والجمال، وترفع من قدر الكلام، وتحرك النفس لحفظها، وتدعو الخاطر لتداولها، وتعلق في النفس لسهولة لفظها.

يقول الحسن اليوسي: "فلا يخفى على ذي مَيْزٍ و لا يشتبه على ذي لُبّ ما جعل الله تعالى في المثل من الحكمة، وأودع فيه من الفائدة، وناط به من الحاجة، فإن ضرب المثل يوضح المنبهم، ويفتح المنغلق، وبه يصور المعنى في الذهن، ويُكْشَفُ المُعَمّى عن اللبس، وبه يقع الأمر في النفس حُسن موقع، وتقبله فضل قَبول، وتطمئن به اطمئنانا، وبه يقع إقناع الخصم، وقطْع تشوُّف المعترض"[1].

وهكذا يرى الباحث أن بعض العقول تستعين على الفهم بضرب المثل، وإيضاح المعنى المبهم، وفتح غلق المسائل، وإزالة اللبس عن المشتبه من الفهم. ولحسن ورود ذلك كله فإنها تقنع العقل وتنزل فيه خير منزل، وتطمئن إليه القلوب.

(1) زهر الأكم في الأمثال والحكم ص34.

ويقول جان عبد الله توما في مقدمة تحقيقه مجمع الأمثال: "ولقد أدرك علماؤنا الأقدمون أهمية هذه الأمثال، فأقبلوا عليها جمعا وتصنيفا، وشرحًا وتعليلاً، وذكرًا لأصولها ورواياتها المختلفة إلى غير ذلك من الأمور التي تتعلق بها، وقلّما نرى علما من أعلام الأدب المصنفين الكبار إلا وبين مصنفاته كتاب في الأمثال، أوفي كتاب من كتبه فصل فيها، أو أمور متعلقة بها"[1].

ويوضح لنا النص السابق من خلال تفحصه، والنظر فيه، أن للأمثال مكانة خاصة؛ لأن في العناية المستمرة والمتتابعة لأي من الفنون إشارة إلى أهمية هذا الفن، وبها ينجلي ما به من الأسرار الدفينة، والنوادر العظيمة، ولهذا أولى الأقدمون الأمثال أوّليّات مصنفاتهم لتكون تلك المصنفات دالة على شأن هذه الأمثال.

وبهذا يرى الباحث مكانة الأمثال في الأدب العربي حيث هي الشاهد في الكلام على المعاني المرادة ، وتزيد من منطق الكلام وضوحًا وجمالا، ولها قدر في النفوس، وحلاوة في الصدور، ومن خلال سهولة ألفاظها، وقصر جملها يسهل حفظها على الدارسين، علاوة على دورانها في المصنفات اللغوية، والشروحات النحوية، ليتخذ منها العلماء شواهد نحوية على المسائل اللغوية فقد سجلت دورا في حفظ التراث اللغوي للأمة، ولا نغفل عن الأهمية البيانية لها وما في ذلك من جمال، وكفاها أهمية أن جُلّ العلماء القدامى قد دوّنوا فيها المصنفات، أو أشاروا إليها بين طيات كتبهم، أو اتخذوها شاهدا في دفائن كتبهم.

---

(1) مجمع الأمثال 1:5.

المبحث الثاني : مفهوم المثل

تعريف المثل:

أوردت المعجمات المعاني التالية في حدِّ المثل لغة واصطلاحا[1]:

المَثَل: الحجّة والحديث، وقد مثّل به تمثيلا، وامتثله وتمثّله وتمثّل به.

والمَثَل: الصفة، ومنه ما جاء في التنزيل العزيز: "مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وِظِلُّهَا"[2]. ومثلها: هو الخبر عنها. قال أبو حيّان[3]: "تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ" تفسير لذلك المثل، وتقول: مثلّت الشيء إذا وصفته وقربته للفهم، وليس هنا ضرب مثل، فهو كقوله: "وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ"[4] أي الصفة العليا".

والمثال صفة الشيء، وتمثّل بالشيء: ضربه مثلا. والمِثْل: الشِّبْه، يُقال: هذا مِثْله وَ مَثله كما يُقال: شِبْهه وشَبَهه، بمعنى. والمثل يدل على مناظرة الشيء للشيء، والمَثل المضروب مأخوذ من ذلك.

والمساواة تكون بين المختلفين في الجنس والمتفقين، والمماثلة لا تكون إلا في المتفقين، تقول: نحوه كنحوه وفقهه كفقهه، فإذا قيل: هو مِثْله على الإطلاق، فمعناه أنه يسد مسده، وإذا قيل: هو مِثْله في كذا فهو مساوٍ له في جهة دون جهة.

---

(1) انظر (مثل) في القاموس واللسان والتاج والجمهرة والمقاييس.

(2) الرعد : 35.

(3) النهر الماد 389:3 ومابعدها .

(4) الروم :27.

يرى الباحث أن صاحب اللسان فرق بين المماثلة والمساواة حين نقل قول ابن بري في ذلك حيث وضح أَن المُساواة تكون بين المختلِفين في الجِنْس والمتَّفقين، أما المماثلة فلا تكون إلا في المتفقين فقط.

أما صاحب التاج فقد بين أن المعنى المقصود من المثل، هو: الصفة، وأما المثال بالكسر عنده فهو: المقدار، وما جُعل مثالا لغيره يُتمثل به ويُضرب لغيره، وأما ابن دريد فقد وضح أن المثل النظير، وأما ابن فارس فقد اعتمد في المعنى على المناظرة والمماثلة بين الشيئين، وبيَّن أن المثل الذي يُضرب يقع على هذا المعنى.

وبعد هذا العرض في عدد من المعجمات اللغوية نلحظ أن مادة: (مثل) تدور حول الشبه، والنظير، والمماثلة، ومناظرة الشيء للشيء.

وقال إميل يعقوب: "والأصل العام لهذه الكلمة يتضمن حسب اشتقاقها معنى المماثلة"[1]. وفي هذا النص دلالة على أن صاحب الموسوعة نظر إلى المعنى اللغوي للكلمة من حيث اشتقاقها وما تضمنت من معانٍ فوجد أنها تتضمن معنى المماثلة دون أن يضع أي قيد آخر في التعريف.

وقال أبوهلال العسكري: أصل المثل التماثل بين الشيئين في الكلام، كقولهم: "كما تدين تدان"، وهو من قولك: هذا مِثْل الشيء وَمَثَلُه، كما تقول: شِبْهه وشَبَهُه، ثم جُعِل كل حكمة سائرةٍ مثلا"[2].

ومن خلال النظر في هذا النص نلحظ بوضوح أن العسكري قيّد التماثل بين الشيئين في الكلام دون الأفعال، فقد قصر التعريف على

(1) موسوعة أمثال العرب 17:1.

(2) جمهرة الأمثال ص11.

التماثل من جهة واحدة فقط، ودلل على ذلك بما ساق من المثل، وعمّم إطلاق المثل على كل حكمة سرت وذاعت بين الناس لنرى أنها يعُدها مثلا، ويقول الراغب: "المثل: عبارة عن قول في شيء يشبه قولا في شيء آخر، بينهما مشابهة ليبين أحدهما عن الآخر ويصوره"[1].

ويزيد الراغب في قيده للمثل عمّا ورد عند غيره، وأنّ المثل يعدو المماثلة بين القولين ليوضح غرضا آخرهو التصوير.

ونقل السّيوطي في مزهره[2] قول الفارابي: "المثل ما ترضاه العامة والخاصة في لفظه ومعناه، حتى ابتذلوه فيما بينهم، وفاهوا به في السراء والضراء"، ونقل كذلك قول المرزوقي: المثل جملة من القول، مقتضبة من أصلها أو مرسلة بذاتها، فتتسم بالقبول وتشتهر بالتداول، فتنقل عما وردت فيه، إلى كل ما يصح قصده بها من غير تغير يلحقها في لفظها، وعما يوجبه الظاهر إلى أشباهه من المعاني؛ فلذلك تضرب وإن جهلت أسبابها التي خرجت عليها".

ويظهر للباحث أن الفارابي يعمد في تحديد المثل إلى اتفاق عامة الناس وخاصتهم عليه، وربما كان في الإجماع والاتفاق على الشيء دلالة على الرضا به، وقد زاد في وضوح التعريف إضافة المعنى إلى اللفظ. وقد نال المثل عنده منزلة حتّى أصبح محط الكلام، ومتدَاوَل اللفظ في حالات الفرح والترح، وأما المرزوقي فقد أضاف إلى المعاني السابقة في تعريفه

(1) المفردات ص 486.

(2) المزهر في علوم اللغة 486:1.

للمثل عنصر المشابهة دون معرفة أصول المثل، مع المحافظة على اللفظ، وحمايته من التغيير والتبديل[1].

ويقول ابن عبد ربه في عقده: "إن الأمثال وشْي الكلام، وجوهر اللفظ، وحُلِيُّ المعاني التي تخيرتها العرب، وقدمتها العجم، ونُطق بها في كل زمان، وعلى كل لسان، فهي أبقى من الشعر، وأشرف من الخطابة، ولم يَسِرْ شيء مسيرها "[2]، ويُظهر التعريف السابق مدى الاهتمام بالناحية البلاغية التي يوضحها المثل في الكلام، ومدى تأثير تلك الناحية البلاغية في مسيره بين الناس وبقائه، ويعود ذلك إلى أنها اختيرت من بين مثيلاتها من العبارات، وزادها فضلا أنها تقدمت على غيرها من الكلام، ويقول اليوسي: "المثل قول يرد أوّلا لسبب خاص، ثم يتعداه إلى أشباهه فيستعمل فيها شائعا ذائعا على وجه تشبيهه بالمورد الأول "[3]. وقد دار التعريف السابق على محمل التماثل بين حادثتين مع النظر إلى السبب الذي قيل من أجله المثل.

وقد ارتضى هذه الأمثال العامة والخاصة من الناس ، وتناقلوها في السراء والضراء، واشتهرت فيما بينهم، من غير إجراء تعديل على أصل لفظها، وتنماز الأمثال عن غيرها من الأقوال والألفاظ بأنها موشاة بجواهر الكلام، وجمال المعاني، وقوة التصوير، وسيرورتها بين الناس، فهي أحفظ للدارس من الشعر والخطابة، وتنماز الأمثال أيضا بسهولة التخزين في الذاكرة لدى السامعين لما لها من القصر في جملتها المسوقة.

(1) انظر المزهر في علوم اللغة 486:1.

(2) العقد الفريد 63:3.

(3) زهر الأكم 23:1.

المبحث الثالث : بين المثل والحكمة، وبين المثل والقول

وإذا ما عرّج الناظر على الحكمة وحدّها، فإنّه سيلحظ بوضوح الفرق بينها وبين المثل، إذ يقول الراغب[1]: "الحكمة إصابة الحق بالقول والفعل. فالحكمة من الله تعالى معرفة الأشياء، وإيجادها على غاية الإحكام، ومن الإنسان معرفة الموجودات، وفعل الخيرات. وهذا الذي وُصف به لقمان في قوله: "وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ"[2].

ويقول عبد المجيد قطامش في الحكمة: "العبارة التجريدية التي تصيب المعنى الصحيح، وتعبر عن تجربة من تجارب الحياة، أو خبرة من خبراتها، ويكون هدفها عادة الموعظة والنصيحة"[3]. ويخلص قطامش بعد تحديده العلاقة بين المثل والحكمة إلى زلل من ذهب إلى أن أدب الحكمة أعم من أدب الأمثال، وأن كل مثل حكمة، وليست كل حكمة مثلا.

ويقول اليوسي: "لقد اتضح الفرق بين المثل والحكمة من ثلاثة أمور: أحدها: أن الحكمة عامة في الأقوال والأفعال، والمثل خاص بالأقوال. وثانيها: أن المثل واقع فيه التشبيه دون الحكمة. وثالثها: أن المقصود من المثل الاحتجاج، ومن الحكمة التنبيه والإعلام والوعظ"[4].

(1) المفردات في غريب القرآن ص271.

(2) لقمان : 12.

(3) الأمثال العربية ص18.

(4) زهر الأكم 1:31.

وإذا ما عمّقنا النظر في قوله تعالى: "وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ"[1] علمنا أن الحكمة إبداع كامن في الإنسان فطره الله عليها، حيث وضح المفسرون حكمة لقمان بقولهم: والحكمة التي آتاه الله هي الفقه والعقل والإصابة في القول، والحكمة في عرف العلماء: استكمال النفس الإنسانية باقتباس العلوم النظرية واكتساب الملكة التامة على الأفعال الفاضلة على قدر طاقتها[2].

وغرض الحكمة الإعلام والإرشاد والوعظ والبيان، وأما المثل فلا يقع إلا في الأقوال دون الأفعال، ومن ثم فإن غرض المثل بيان المشابهة في الواقعة، ولا تقع الحكمة لذلك، كما أن الأمثال لها غرضها الدلالي واللغوي ولا يقع ذلك في الحكمة.

وقد اختص المثل بزيادة شيوعه، أما الحكمة فلا نلحظ فيها الشيوع نفسه الذي ظهر في المثل، وربما ظهر للباحث أن الأمثال تداولتها الألسنة كافة، أما الحكمة فلا تقع إلا على ألسنة فئة خاصة من الناس ألا وهم الحكماء.

ولعل من المفيد الإشارة إلى أن الغرض المطروق من المثل الاحتجاج به في حال المشابهة بين الواقعتين، أما الحكمة فلا تقال لغرض الاحتجاج أو ما شابه ذلك.

(1) لقمان : 12.

(2) انظر فتح القدير 389:3، حاشية زاده على تفسير البيضاوي 567:6.

بين المثل والقول:

يقول الشريقي في رسالته: الأمثال في القواعد اللغويّة: "برزت في البحث مشكلة التفريق بين المثل والقول كثيراً، وذلك لأن هناك كثيراً من الأقوال كانت مبثوثة في كتب النحو والصرف، واستشهد بها النحاة على قضايا نحوية وصرفية، من غير أن يذكروا إن كانت أمثالاً أولا، وكذلك فإن كتب الأمثال لم تذكر هذه الأقوال ضمن الأمثال التي أوردتها؛ ولذا فإنّ بعضًا ممن يحققون كتب النحو واللغة يضعون الأمثال والأقوال في قائمة واحدة، لعدم القدرة على التمييز بين الأقوال والأمثال. فمن هذه الأقوال التي ترددت في كتب النحو كثيراً قول العرب: "إذا بلغ الرجل الستين فإيَاه وإيَّا الشوابِ" فقد استدل به النحاة في إضافة (إيّا) إلى الظاهر، ولكنهم لم ينصوا على أنه مثل ، ولم تذكره كتب الأمثال"[1].

يخلص الباحث مما سبق إلى وجود طائفة من الأقوال اشتهرت وفاضت بها الألسن، واستشهد بها النحاة في مصنفاتهم اللغوية لشيوعها، وقِصر عبارتها، مما كانت سببا لاختلاطها بالأمثال العربية، ولكن النحاة لم يدرجوها في طائفة الأمثال عند الاستدلال بها، ولا أدرجت في كتب الأمثال أيضا حتى يشار إليها أنها من الأمثال، مما دفع عددا من محققي كتب اللغة والنحو أن يضعوها في قائمة واحدة، ويرى الباحث أن هذه الأقوال التي اختلطت بالأمثال، إذا دقق الناظر والدارس فيها النظر، توصل إلى كونها أقرب للأمثال حيناً، أو الأقوال حينًا آخر، وذلك بالنظر إلى الخصائص العامة التي تظهر في الأمثال دون الأقوال

(1) الأمثال في القواعد اللغوية ص9.

المشهورة، وإن لم يدرج العلماء الذين دونوا الأمثال هذه الأقوال في طائفة الأمثال، فلعل ذلك عائد إلى اعتقادهم أنها ليست من الأمثال.

وإذا ما جاوزنا النظر إلى كونها من الأمثال، فلا ضير من الاستشهاد بها في المسائل النحوية واللغوية إذا صحت روايتها وتعددت، ولم تعدّ هذه الأقوال ضمن القليل أو الشاذ، وَنَقَلَها من وُثق بعربيته، وضمن الفترة الزمنية لعصر الاحتجاج. فاللغة تعمد إلى المحافظة على كلام العرب وأقوالهم المحتج بها في علم النحو واللغة، ولا تهملها، وفي ذلك مزية للعربية التي اعتمدت صحة النقل، وقوة النقل والتثبت مما يُنقل من قول.

المبحث الرابع : نشأة الأمثال وأنواعها

" الإنسان قديم العهد بالأمثال، قدمه في تجربته مع بيئته أرضا ومناخًا وشعبًا وتعاملا وصحة، ومن الصعب تأريخ ظهور الأمثال عنده. ولكننا نستطيع التأكيد أنها ظهرت بعد ظهور المجتمعات البشريّة، فالأمثال كاللغة، وليدة المجتمع، أو بتعبير أدق، وليدة التجربة الإنسانية في المجتمع. والأمثال العربيّة وصلت إلينا مع اللغة العربيّة نفسها، هذه اللغة التي تميزت خصائصها منذ العصر الجاهلي، ثم احتفظت بهذه الخصائص بفعل نزول القرآن الكريم بها، وإقبال الكتاب والشعراء العرب منذ العصر الجاهلي إلى اليوم، وفي مختلف أقطارهم على تدريج أشعارهم وخطبهم، ومقالاتهم، وأبحاثهم وأدبهم بها "[1].

ولأن هذه اللغة تميزت خصائصها منذ العصر الجاهلي، وثبتت بسبب عدة عوامل فقد اهتم العرب بتدوين الأمثال، ولأَنَّ معظم الأمثال العربيّة رويت غُفلاً عن النسبَةِ إلى قائل مُعَيَّن هذا ما أَدَّى إلى صعوبَة تحديد زمن نشأتها ومع هذا كله نستطيع تمييز الجاهلي عن الإسلامي عن المولد[2].

وبهذا يظهر أن الأمثال قديمة الوجود، وإذا رُويت بعض الأمثال دون معرفة أصحابها فقد أدّى ذلك إلى صعوبة تحديد زمن المثل الذي قيل فيه، ولكن بالنظر إلى هذه الأمثال من حيث الفكرة والأسلوب

(1) موسوعة أمثال العرب 33:1.

(2) انظر فقه اللغة العربية وخصائصها ص 120.

نستطيع تمييز زمن نشأتها من خلال إشارات وردت فيها مثل التأثر بالقرآن مثلا، أو الحديث، أو غلبة لغة الجاهلية وتراكيبها عليها.

"ولدينا بعض النصوص القديمة التي تدل على أن العرب في جاهليتهم كانوا يدونون حكمهم وأمثالهم، كما دوّنوا أشعارهم، فقد روي أن عامر بن الظَّرب العدواني، وهو حكيم جاهلي معمر مشهور، قال لملك من ملوك حمير، في حديث طويل له: ولي كنز علم، لست أعمل إلا به، تركته في الحي مدفونا، وإن قومي أضِنَّاء بي، فاكتب لي سجلا بجباية الطريق، فيرى قومي طعما تطيب أنفسهم به عنّي، فأستخرج كنزي وأرجع إليك، فهذا النص إن صحّ، يدل على أنهم كانوا يدونون حكمهم وأمثالهم؛ ذلك أننا نتصور أن هذا الكنز من العلم لم يكن إلا حكما وأمثالا مدونة فيما كانوا يدونون عليه آنذاك من أشياء "[1].

ويظهر جليًّا أن هذه اللغة الشريفة قد خصّها الله عز وجل بخصائص كثيرة ميزتها عن غيرها من اللغات لتكون لها حاميًا من الضياع والفقد، ومن هذه الخصائص علم الرواية والاحتجاج، وإذا ما علمنا أن أوائل كتب الأمثال قد وصلت إلينا في بدايات القرن الثاني للهجرة، علمنا أن الأمثال صاحبت تدوين اللغة نفسها، وهذا شاهد على حركة تدوين الأمثال منذ القدم.

وكيف لا نعتقد باهتمام العرب بتدوين أمثالهم وأقوالهم؟ فكما وصلت إلينا روايات أشعارهم وأخبارهم، فكذا وصلت إلينا أمثالهم

(1) الأمثال العربية ص 39.

بداهة بحكم الرواية المشتركة، وإن كانت الأمثال حقيقة رُويت دون معرفة قائليها، فإن الباحث لا يرى الشك في صحة هذه الأمثال من حيث ثبات نقلها؛ لأن ما تعدد فيه الرواية وقع فيه إشارة على صحة تداوله ونقله، ولكن ذلك يدعم فكرة صعوبة معرفة الزمن الذي قيلت فيه حقيقة، إذ خلت تلك الأمثال من أمارات تدل على زمنها.

وتُقْسَمُ الأمثال من حيث النظر إلى زمانها، إلى:

- أمثال جاهليّة: قيلت في العصر الجاهلي.
- أمثال إسلامية: قيلت في عصر الإسلام.
- أمثال مُوَلّدَة: قيلت بعد عصر الاحتجاج.

وهناك معايير تعرف بها هذه الأمثال، فمن معايير الأمثال الجاهليّة:

1. نسبتها إلى أناس جاهليين، كلقمان بن عاد، الذي يُنَسبُ إليه المثل: رُبَّ أخ لك لم تلده أمك.
2. نص العلماء على جاهليَّة هذه الأمثال، أو نسبتها إلى قبائل جاهلية، فمن الأمثال التي نسبت إلى قبيلة عاد، مثل: أَلحنُ من الجرادتينِ، ومن الأمثال التي نسبت إلى قبيلة طسْم: شرُّ يوميها وأغواه لها، ومــن الأمثال التي تنسب إلى قبيلة حِـمْير: من دخل ظفار حمَّر.
3. الحوادث التي قيلت فيها الأمثال وخاصة الأمثال التي قيلت في حرب داحس والغبراء، نحو: أشأم من داحس، وحرب البسوس، نحو: أشأم من البسوس، ويوم حليمة، وحديث الأبرش والزباء[1].

(1) انظر موسوعة أمثال العرب ص 33:1 وما بعدها.

أَمَّا الأمثال الإسلامِّية، فمنها ما كان القرآن الكريم السبب في استحداثه، مثل: أَتَبُ من أبي لهبٍ، ومنها ما كان أصله الحديث الشريف، مثل: إنَّ من البيان لسحرًا، ومنها ما كان من أقوال الصحابة، كقول أبي بكرٍ الصِّديق: لا طامة إلا فوقها طامة[1].

"أَمَّا الأمثال المُوَلَّدَة، فالمقصود بها تلك التي قيلت بعد عصر الاحتجاج، وهو العصر الذي يمتد من الجاهلية الأولى حتى منتصف القرن الثاني الهجري بالنسبة إلى عرب الحواضر، وإلى نهاية القرن الرابع الهجري بالنسبة إلى عرب البوادي. ولعلّ أول من اهتم بتمييز الأمثال المولدة من غيرها حمزة الأصفهاني في كتابه: "الدرة الفاخرة" إذ نبه على توليد بعض الأمثال، كما خصَّصَ بابًا كاملا من كتابه لذكر الأمثال المولَّدة المزدوجة التي على وزن: "أفعل"[2].

وأما الأمثال المولدة فقد لقيت من يُعرّف بها ويتصدى للإشارة إليها، وقد عُني طائفة من المصنفين ببيانها ودراستها، ومن الدراسات التي اعتنت بالأمثال المولدة، كتاب الأمثال المولدة وأثرها في الحياة الأدبية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري لفيصل مفتاح الحداد، ولا ننسى أن كتب الأمثال التراثية مثل كتاب الميداني وغيره ميّز الأمثال الفصيحة من المولدة، وقد عمد الميداني إلى إفراد باب مستقل لها بعنوان: المولدون، ملحق بكل حرف من حروف الأمثال.

ويمكن تقسيم الأمثال إلى أمثال قديمة وأمثال مولَّدة. ويقصد بالأمثال القديمة: التي قيلت في عصر الاحتجاج اللغوي. والأمثال المولَّدة: تلك

(1) انظر موسوعة أمثال العرب ص 35 وما بعدها.

(2) موسوعة أمثال العرب ص41.

الأمثال الجديدة، التي جرت على ألسنة من لا يحتج بعربيته، مع بداية العصر العباسي الأول.

ومن خلال ما تقدم يظهر أن النظر للأمثال وقع من حيث النظر إلى صحة الاحتجاج بها من عدمه، فالقيد في ذلك يعود إلى العصر الذي قيلت فيه، وقد عُني العلماء قديمًا بهذه المسألة وقيّدوها بالضوابط التي تمنع دخول غيرها فيها، ويظهر أن النظر إلى مسألة الاحتجاج والأخذ به، أمر مهم في تقييد الشواهد النحويّة، وأصل من أصول النحو العربي، وفي ذلك تميّزٌ لهذه اللغة عن مثيلاتها، حيث إنها تُعنى بحفظ أصولها وشواهدها، وكيف لا يقع ذلك لها وهي لغة القرآن الكريم، وقد تعهد الله تعالى بالحفاظ عليها، فهي باقية أبد الدهر.

ويمكن تقسيم الأمثال العربية القديمة والمولدة – من حيث موضوعها– إلى:

1. المثل الموجز: وهو القول السائر الموجز الذي يشتمل على معنى صائب، وتشبه حالة ضربه بالحالة الأولى التي قيل فيها وورد عليها.
2. المثل القياسي: وهو ذلك السرد الوصفي أو القصصي الذي يستهدف توضيح فكرة ما، أو البرهنة عليها عن طريق التشبيه أو التمثيل الذي يقوم على المقارنة والقياس.

3. المثل الخرافي: وهو تلك الكلمات الموجزة السائرة التي أجراها العرب على ألسنة الحيوانات، أو بنوها على قصص خرافي نسجوه حوله[1].

ويظهر من خلال التقسيم السابق أن المثل الموجز ينحو إلى التركيز على صواب المعنى، والغرض المسوق منه التشبيه، علمًا بأن هذا الغرض المضروب عام في سائر الأمثال العربية، لأننا نعلم أن الغرض الرئيسي المسوق من الأمثال، هو التشبيه، وأما المثل القياسي فالمورد الأساسي منه القياس والمقارنة بين الحادثتين، أو الأمرين المتشابهين، وأما المثل الخرافي فمبناه على القصة الخرافية، أو التي نُسجت من الخيال، وهو في ذلك أشبه بالحكايات التي لا أصل لها.

وأيًا كان الأمر فإن الباحث يرى أن المثل الموجز، والمثل القياسي، قد اعتمدا على البناء المشترك من حيث النظر إلى ورودهما، وإن كان الفرق يظهر في أن المثل الموجز هو المبني على الرواية دون أن تصاحبه قصة للمثل، أما المثل القياسي فقد صاحب المثل السرد القصصي، والسرد الوصفي له.

---

(1) الأمثال العربية ص 30.

المبحث الخامس : أغراض الأمثال وأهميتها وخصائصها الفنيّة

لا يخفى أن أغراض الأمثال عديدة وهي لا تأتي اعتباطا في الكلام، بل لها دورها ووظيفتها وغرضها الذي ترمي إليه، من بيان التشبيه والتمثيل بين الحالة الواقعة والمثل الذي ضُرب فيها، وتصيب الأمثال مراميها إذا وافقت الحالة المضروبة تمام الموافقة ، وأحسن القائل اختيار المثل الملائم للموقف الذي هو بصدده.

فمن أغراضها تمثيل المعقولات وتصويرها بصورة حسية ، لكي تظهر قريبة للعقل، ظاهرة للعيان، كقوله تعالى: "مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ" [1].

وفي هذا الشاهد القرآني الكفاية الواضحة من مقصد الكلام، فقد شبَّه الله تعالى حال اليهود الذين تركوا العمل بالتوراة وما أُمروا به، بصورة الحمار الذي حمل الأسفار على ظهره وهو لا يعرف ما فيها، ولا يدري أشر على ظهره أم أسفار علم وحكمة وتشريع، وبهذا عرض الله تعالى الصورة العقلية وحولها إلى صورة تشبيهيّة بيّنة؛ لكي تبدو أكثر وضوحًا للعقلِ والعيان، والأمثال في أصلها وضعت لدلالة المشابهة بين حادثتين، أو موقفين، وتجدر الإشارة إلى أن الأمثال تغني الموقف الذي توجد فيه لأخذ العظة والعبرة والإعلام والإرشاد، فهي من هذا المضمار تحوّل الصورة الذهنيّة إلى صورة حسية لتغني الموقف الذي قيلت فيه.

---

(1) الجمعة : 5.

وفي هذا فائدة عظيمة لأن المعقولات الذهنية إذا صُورت على صورةٍ حقيقيّة كانت أثبت للذهن في فهمها، وأرسخ للحفظ من غيرها، لأنها اقترنت بما طابق الكلام والموقف، فلم تعُد وليدة اللحظة فقط، وإنما استعادت مثيلاتها لتصبها في ذات القالب الحادث وتدعم الموقف الذي وجدت فيه وتقويه.

"ومن هذه الأغراض التعريض الذي يعده عبد القاهر أوقع في النفس من التصريح، إذ يصل المرء لمراده دون أن يخشى مغبَّة قوله، وهذا يُحْدِث في النفس راحة كبرى، إذ يلقي عن كاهله هذا العبء الثقيل الذي يحمله في نفسه دون التصريح به جهارا.

ومن ذلك الاحتجاج، لأن المثل مسلّم بصحته مقبول عند جميع الناس، ولهذا فإن فيه مادة غنية لأصحاب المناظرة والجدل، وهم يستخدمونه فيقوّي من حجتهم، ويوهن من حجج خصومهم. ومن ذلك تقديم الخبرات العلمية والعملية بصورة موجزة جدا تغني عن سرد طويل. ومن ذلك أداؤه البلاغي، ووظيفته الجمالية في الكلام"[1].

وهذا النص يشير إلى أن من أغراض الأمثال التعريض دون التصريح؛ لأن التعريض في الكلام ربّما كان أولى من التصريح في بعض المواقف؛ ولأن التصريح في الكلام لا يستطيعه الإنسان في بعض الحديث خوفًا، أو احترامًا لمكانة السامع، فيستعاض عنه بالتعريض.

وربّما صاحب التعريض القصة الوصفيّة ، وذلك أبلغ في توضيح الموقف، والاستغناء عن التصريح، ومعلوم أن النفس البشرية لا تميل

(1) الأمثال المولدة وأثرها في الحياة الأدبية في العصر العباسي ص 38.

بطبعها إلى قبول النصح المباشر، وإنّما تميل إلى قبول النصح والإرشاد في قالب جذّاب.

ومن أغراضها الاحتجاج بما يريده القائل أمام الناس؛ ليوضح كلامه ويزيده قوة بالاستشهاد، وذلك ما تعارف عليه الناس في المواقف المتباينة من ضرب المثال للاحتجاج، وفيه عرض للخبرة العلمية بطريقة يسيرة تغني عن السرد الطويل من خلال تأمل الكلام وفهم مراده، فمن فهم قصد الكلام وصل إلى خبرة غيره دون أن يعرّض نفسه للتجربة، وفي تجارب الآخرين خير مثال على ذلك.

ومن أغراض الأمثال قصر الحديث عوضًا عن السرد المفصل في الكلام، لأنه يؤدي المعنى من خلال العبارة الموجزة، ويوصل الفهم للسامع بأقل عدد من الكلمات المقولة، وفي هذا إشارة إلى بلاغة القائل المستخدِم للأمثال، حيث أدّى ما أراد من الكلام بأقل العبارات الموجزة، عوضًا عمّا فيه من حسن الصياغة، وجمال الأسلوب، ووضوح التشبيه، وممّا يُعلم عند الناس عامّة أن جمال الأسلوب يبعث في النفس الراحة والدعة، ولا يخفى ما لجرس الألفاظ وحسن صياغتها من إثارة التشويق للسرد، وشدّ الانتباه إلى مرامي الكلام ومقاصده.

وعند الحديث عن أهميّة الأمثال يطالعنا قول ابن المقفع: "إذا جعل الكلام مثلا كان أوضح للمنطق، وآنق للسمع، وأوسع لشعوب الحديث"[1].

(1) مجمع الأمثال 6:1 .

ويظهر هذا النص أهمية الأمثال في توضيح الكلام وقبوله، فكلما كان الكلام واضح المنطق بيّن العبارة كان أقْبَل للعقل من غيره، ويضيف ابن المقفع في قوله إنه يقع من الأذن موقع الموسيقى في القبول والراحة، ويسري في النفس بجمال النغم وجرسه، ويزيد الحديث تشعُّبًا وتداخلا.

ويقول الماوردي: "ضرب الله الأمثال في كتابه العزيز وجعلها من دلائل رسله، وأوضح بها الحجة على خلقه، لأنها في العقول معقولة، وفي القلوب مقبولة"(1)، ويظهر بوضوح أن القرآن الكريم استعمل الأمثال؛ لتكون الدّالة مع رسله عليهم السلام في توضيح عوائد الكفر والشرك ونتاجه، أو توضيح عواقب الخير والإيمان، وقد أوضح بها الله تعالى الحجة على الناس والخلق.

ويقول العسكري: "والأمثال نوع من العلم منفرد بنفسه، لا يقدر على التصرف فيه إلا من اجتهد في طلبه حتى أحكمه ، وبالغ في التماسه حتى أتقنه، وقد علم أن كل من لم يعن بها من الأدباء عناية تبلغه أقصى غاياتها، وأبعد نهاياتها، كان منقوص الأدب، غير تام الآلة فيه، ولا موفور الحظ منه"(2).

ويبرز هذا النص أهمية الأمثال، فقد عدّ العسكري الأمثال من أنواع العلم المنفردة برأسها، ولا يستطيعه إلا من اجتهد في طلبه، وبلغ فيه الغاية من الطلب حتى أحكمه ، وبالغ في التماس طيّاته وتلمسه حتى أتقنه. وذلك لما فيه من الفنون المصاحبة من القصص، والأخبار، والروايات، وعلوم اللغة، ومسائل النحو والصرف، وشواهد الفرائد،

(1) أدب الدين والدنيا ص 259.

(2) جمهرة الأمثال 1:10.

وقد وضّح لنا العسكري أن من لم يعتنِ بفن الأمثال كان منقوص الأدب غير تام الآلة فيه، ولا موفور الحظ من علم الأدب.

ولئن كان الشعر ديوان العرب وحجتهم اللغوية في المسائل النحوية، ومصدر الاستشهاد اللغوي لهم، فإن الأمثال هي الصورة الواضحة لحضارات الشعوب المتباينة، وأنماط الحياة المختلفة، فقد حملت الأمثال في أخبارها وسائل المعيشة التي كانت تسود عند الشعوب.

ويظهر أن أهمية الأمثال تظهر في معالجة القضايا المجتمعيّة التي يتصورها شعب ما، وتعكس أنماطًا من ضروب التفكير الحضاري للشعب، والسلوك الذي يعبر به أفراد الشعب عن أنماط الحياة الفكريّة المختلفة.

ولأن الأمثال العربية القديمة عموماً، والشعبيّة منها خصوصًا تعكس ضروب التفكير لدى العامّة، ويعبر بها الناس عن الشقاء والبؤس، وعن الفرح والترح، وغير ذلك من السلوك الذي يسود بينهم في الحياة، وتسجّل الجانب التراثي للشعب، فكما يُعلم أن الأمثال من جوانب التراث الشعبي المهمة، وتعكس الأمثال الشعبية أيضًا صلة ماضي الأمة بحاضرها، ومدى اتّصالها بالشعوب الأخرى.

ويرى الباحث أيضًا أن الأمثال تحتل جزءا من التراث العربي الذي نفخر به، فقد تناقلها العرب مشافهة من العصر الجاهلي حتى الآن، وثبتوها في مدوناتهم، ودارت بين كتبهم شرحًا، وتفصيلا، وتدوينا، وقد اعتنوا بها بالغ العناية حتى ثُبّت لها مصنفات خاصة، وفي ذلك إشارة إلى بالغ الاهتمام الذي نبع في المحافظة على هذا الجزء من التراث. وقد أودع الله تعالى في كتابه العزيز من الآيات ما يشير إلى أهمية الأمثال في تصوير

المعقولات، والمحسوسات للناس، من ذلك قوله: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ"(1).

ومّا ورد في القرآن الكريم أيضًا قوله تعالى: "أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء ، تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ، وَمَثلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ"(2).

ويظهر من خلال النظر في سياق فاصلة الآية "وَيَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ" ولحاقها أن الله تعالى بيّن أهمية المثل المضروب، فقد سبق الآية بتصوير الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة الفرع والأُكل، ثابتة ثبات الحق، وهي كلمة الحق كلمة الإسلام، وقدّم المثل الحسن على السيء، لأن الحق يعلو الباطل دائمًا، وأمّا لحاق الآية فقد ذكر فيه مثل كلمة السوء والشرك والباطل، فهي خبيثة، من تعلق بها لا يجد في يده إلا قَبْض الريح. وفي هذا دلالة على أهمية تأمل المثل لأخذ العظة والعبرة منه؛ لأن القرآن الكريم استعمله في ضرب من ضروب البيان؛ ليكون الشاهد على تمثيل الحدث بما شابهه، وفيه إشارة إلى بلوغ المرام بنوع من التصوير الذي يقْرب للعقل ليكون أبلغ في الوضوح.

ويقول السيوطي في المزهر: "قال أبو عُبَيد : الأمثال حكمة العرب في الجاهلية والإسلام، وبها كانت تعاوض كلامها، فتبلغ بها ما حاوَلَتْ

(1) الحج: 73.

(2) إبراهيم : 24-26.

من حاجاتها في المنطق بكنايةٍ غير تصريح، فيجتمع لها بذلك ثلاث خلال: إيجازُ اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وقد ضربها عليه السّلام، وتمثّل بها هو ومن بعده من السلف[1]".

ويجدر عند الحديث على أهمية الأمثال ألا ننسى الدور الذي تؤديه في البلاغة والفصاحة، فهي آلة من آلات البيان، وكما أشار العسكري في مقدمة كتابه جمهرة الأمثال، حين تحدّث عن خصائصها، وبيان فوائدها ، وأن من لم يُعْن بالأمثال من الأدباء، فهو غير تام الآلة في الأدب، ومنقوص الحظ فيه.

والأمثال من مجالات التراث الشعبي، وفن من فنونه، ولكل شعب – كما لكل الشعوب والجماعات المستقرة – تراثه الثقافي، ومخزونه الفكري، ومعتقداته الخاصة، وتقاليده المتراكمة عبرَ الأجيال، وقد توارثها الخلف عن السلف مشافهةً، ومنها الأمثال التي كان لها بالغ الأهمية في الاطلاع على حضارات الشعوب والأمم السابقة، فهي تصور العادات والتقاليد التي نشأت في ظلها هذه الأمثال في المناسبات المتعددة، فهي خلاصة لتجارب الآخرين، ومحور أفكارهم. فهي تقوم بدور مهم في توجيه الأمة، وتصوير أنماط حياتها وسلوكها، والمثل إلى جانب ذلك يصور الكثير من حياة هذه الأمة، وأفكارها، ومشكلاتها، وأمنياتها، والأمثال تتحدث بعفويّة بالغة عن فرح الناس وشقائهم، وعن فقرهم وبؤسهم، وعن قوتهم وضعفهم، كما تكشف الأمثال عن مدى عمق الاتصال النفسي والتأثير الحسي بين الآباء والأجداد، ونظرا إلى هذه الأهمية البالغة

---

(1) المزهر ص178.

للأمثال، فكان من الواجب الاهتمام بها تصنيفا وشرحا وتأصيلا وبيانا. ولهذا نرى وفرة الكتب التي أُلفت بها، وما حوت هذه المصنفات والأسفار من فرائد الكلام وجوهره.

والأمثال في الأدب العربي استعملت قديمًا وحديثًا، وقد اهتم بها الدارسون أبلغ الاهتمام لما لها من ضرورة في الاستشهاد اللغوي؛ لأنها تدور في المصنفات اللغوية والنحوية، فلا يخلو منها كتاب نحو أو أدب، وفي ذلك دلالة واضحة على صيرورتها بين تلك الكتب؛ لما فيها من الثروة اللغوية المفيدة.

وتختص الأمثال العربية بخصائصَ فنية كثيرة، وسمات أسلوبية جمة، ولكن سيسلَّط الضوء على بعض منها لأهميتها واستفاضتها، ومن ذلك:

1- بلاغتها: اتفق العلماء على بلاغة الأمثال العربية، فلا نكاد نجد مثلا يخلو من صورة فنية، أو استعارة أو أسلوب بديعي معنوي أو غير ذلك، فالصورة في الحقيقة تقرِّب الواقع غير المشاهد إلى الصورة الحسية المشاهدة، وفي هذا إشارة إلى وضوح المعاني، مما يمثل إبداعًا في استعمال التراكيب والمعاني، وفيه يخرج الكلام على أجمل صورة واضحة مفهومة.

2- إيجازها في اللفظ: وهذه السمة من أشمل سمات الأمثال العربية، إذ يظهر في الأمثال العربية المعاني الكثيرة التي أُوجزت تحت كلمات بسيطة، وقد حوت هذه الكلمات القصص والأخبار التاريخية، والحوادث التي تضمنها المثل، واندرج في طيّاته؛ ولذا

كانت العبرة في عمق المعاني ودقتها، مستغنين عن النظر في عدد الكلمات.

3- تضمُّن الأساليب البديعيّة المختلفة مثل الطباق، والمقابلة، والسجع، وغير ذلك، وكذا الأساليب البيانيّة كالتشبيه والاستعارة والكناية والمجاز، والأساليب اللغويّة كالأمر والنّهي والاستفهام والشرط وغير ذلك.

المبحث السادس : كتب الأمثال وقيمتها في التراث العربي

يقول ابن عبد ربه: "إنَّ الأمثال وشي الكلام، وجوهر اللفظِ، وحلي المعاني، التي تخيرتها العرب، وقدمتها العجم، ونُطق بها في كل زمان ومكان، وعلى كل لسان، فهي أبقى من الشعر، وأشرف من الخطابة، لم يسر شيء مسيرها"[1].

ويقول العسكري: "ولمّا عرفت العرب أن الأمثال تتصرف في أكثر وجوه الكلام، وتدخل في جل أسباب القول، أخرجوها في أقواها من الألفاظ، ليخف استعمالها، ويسهل تداولها، فهي أجل الكلام وأنبله، وأشرفه وأفضله، لقلة ألفاظها، وكثرة معانيها، ويسير مؤونتها على المتكلم، مع كبير عنايتها، وجسيم عائدتها"[2].

يظهر من هذه النصوص أن كتب الأمثال غنية بجواهر الألفاظ، وقد انتقتها العرب من أفضل كلامهم واعتدوا بها، وهي باقية في كل زمان ومكان تسري بين الناس لسهولة حفظها، وقصرها، وبلاغتها.

والأمثال وإن كانت قليلة الألفاظ لكنها غنية بالمعاني، ومما يسجل لها أنها حفظت لنا جزءا من التراث العربي، عدا عن أهميتها في الشاهد النحوي؛ وبهذا تعد كتب الأمثال دالة على الناحية البلاغية، والناحية الدلالية، والناحية الصرفية.

ويبدو من خلال هذه الأقوال أن الأمثال وكتبها كانت تعنى بالألفاظ الدقيقة النفيسة، ويزين بها الكلام وشاعت في كل زمان ومكان،

---

(1) العقد الفريد 63:3.

(2) جمهرة الأمثال 10:1.

فأضفت عليه من الناحيّة الفنيّة الكثير من الجمال في اللفظ والعبارة، إضافة إلى ما في هذه الكتب من الشروح التي دُعِّمَتْ بالشعرِ تارة ، وبفنون النحو والإعراب تارة أخرى، إضافة إلى القصص والأخبار التي وردت في شروح هذه الأمثال مِمَّا هو مدرج في بطون هذه الكتب لتظهر لنا قيمة هذه الكتب، التي حوت الشعر والأدب والنحو والبلاغة.

وقد قام كثير من أعلام العلماء العرب بتدوين كتب الأمثال، وفي هذا دِلالة على أهميّة هذه الكتب ، ولهذا وصل إلينا العديد من المؤلفات في الأمثال العربية، فكانت محور اهتمام العلماء، وموطن كلامهم وتعليقاتهم؛ لما تتمتع به من خصائص وفرائد لم يحظ بها غيرها من الكتب.

وقد نهضت في العصر الحديث كوكبة من الدارسين يبحثون في الأمثال، يصنفون ويحققون لإغناء مكتبة التراث العربي، ومنهم زكي مبارك في تحقيقه كتاب: "الأمثال" لأبي الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي، وعبد المجيد عابدين، وإحسان عباس في تحقيقهما كتاب: "فصل المقال في شرح كتاب الأمثال" لأبي عبيد البكري، ومحمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش في تحقيقهما كتاب: "جمهرة الأمثال" للعسكري، وغيرهم الكثير[1] .

ومن الذين عُنوا بالأمثال في العصر الحديث إميل يعقوب، حيث تعد الموسوعة التي قام بإعدادها خير مثال لتلك العناية؛ لأنها أفرغت من كتب الأمثال الكثير، ولا يخفى على الناظر الجهد المبذول في هذه

(1) انظر مقدمة مجمع الأمثال (طبعة جان توما) 1:5.

الموسوعة، التي أضحت مرجعًا مهما من مراجع البحث عند دراسة الأمثال.

وقد ظهرت كتب الأمثال المتخصصة مثل أمثال الحديث النبوي الشريف، والكتب التي تتحدث عن الأمثال الشعبيّة في كل بلد، حيث نقلت إلينا عادات البلاد التي تنتشر فيها هذه الأمثال وتقاليدها.

المبحث السابع : كتب الأمثال التي سبقت الميداني

إن كتب الأمثال التي سبقت كتاب الميداني كثيرة، وسيذكر الباحث بعضا من هذه الكتب مع الإشارة الوجيزة لكل كتاب:

1- كتاب الأمثال لصحار بن عيَّاش العبدي، (ت 40هـ).

2- كتاب الأمثال لأبي عمرو بن العلاء، (ت154 هـ)، كان يتناول الأمثال من جميع نواحيها، فيذكر أصولها ويفسر غريبها، ويورد الشواهد الشعرية على الغريب.

3- كتاب الأمثال للشّرقي بن القطامي، (ت 158هـ)، والنصوص التي نقلتها عنه كتب الأمثال تدور كلها حول أصول الأمثال وأسبابها، من الأخبار والقصص والأنساب التي ترجع إلى العصر الجاهلي.

4- كتاب أمثال العرب للمفضل بن محمد الضّبي، (ت 168هـ)، والكتاب صغير الحجم إذا قيس بما ظهر بعده من كتب الأمثال، إذ يشتمل على مئة وسبعين مثلا فقط، منها ثمانية على وزن أفعل.
وأهم الملاحظات على كتابه أنه مفعم بالوقائع والأحداث الجاهلية التي تدور حول سادة القبائل والعشائر وشيوخها وشعرائها، والتي يتصل بعضها بأيام العرب في الجاهلية[1].

5- كتاب الأمثال ليونس بن حبيب الضبي، (ت183 هـ) ، يغلب على هذا الكتاب في تناوله للأمثال الاتجاه اللغوي الذي يتمثل في تفسير الغريب، وإيراد الشواهد الشعرية عليه ، كما أنه لا يغفل

(1) انظر الأمثال العربية، دراسة تاريخية تحليلية، ص46 وما بعدها.

ذكر موارد الأمثال وأصولها ومضاربها، وقد بدا كتابا وافيا تناول الأمثال من جميع جوانبها[1].

6- كتاب الأمثال لأبي فيد مؤرخ بن عمرو السدوسي (ت : 195هـ)، يفسر فيه المؤرخ بعض أبيات الشعر والتعبيرات اللغوية، وهو دقيق النقل عن الرواة الذين أخذ عنهم.

7- كتاب الأمثال لأبي عبيد (ت: 224هـ)، بدأ أبو عبيد كتابه بتعريف المثل، وذكر المواضع التي يتكلم بها فيها ، وتضرب عندها، وأسندها إلى علمائها، واستشهد بنوادر الشعر، أو بما أمكن منها، وأحيانا يشرح أبو عبيد أصل المثل، ومورده الذي أخذ عنه ، كأن يقول مثلا: إن هذا المثل أو ذاك مأخوذ من بيت شعر، أو ميدان حرفة من الحرف، وما أشبه ذلك. وفي بعض الأحيان يحد استعمال المثل مرة أخرى بعبارة: "يضرب لكذا وكذا"، مع أن الأمثال كلها مصنفة عموما في الأبواب المختلفة، وإذا تكرر بعض الأمثال، أو احتاج الأمر إلى الحديث عنها مرة أخرى، أشار أبو عبيد إلى الباب الذي سبق أن ذكرت فيه.

أما الأبيات المنتشرة هنا وهناك وإن لم تكن كثيرة ، ومعظمها غير منسوب إلى قائله فإنها شواهد على معاني الكلمات، أو تساق لبيان ورود معنى المثل في صورة شعرية، وبيت الشعر بالمعنى الأخير يسمى عادة: "البيت السائر" وكان أبو عبيد مقتصرا على سرد الحكايات[2].

---

(1) انظر المرجع السابق ص53.

(2) انظر الأمثال العربية القديمة ص80 وما بعدها.

8- كتاب الأمثال الصادرة عن بيوت الشعر، لحمزة بن الحسن الأصفهاني (ت 360)، طُبع الكتاب باسم الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة، وأورده الزركلي في الأعلام باسم "الأمثال الصادرة عن بيوت الشعر"، وقد نقل عنه الميداني في مجمع الأمثال، والعسكري في جمهرة الأمثال"[1]، وهذا الكتاب مجموعة من الأمثال التي جاءت على أفعل التفضيل. طُبع بتحقيق الدكتور عبد المجيد قطامش في دار المعارف بمصر سنة 1976.

9- جمهرة الأمثال للعسكري (ت 395هـ)، يتألف كتاب العسكري من (29) بابا تحتوي على ما يقارب (3000) مثل، منها حوالي (800) على وزن أفعل، وقد رتب فيه الأمثال ترتيبا أبجديا بحسب الحرف الأول، وشرحه للأمثال شرح موجز، وقد استقى العسكري مادته في الأمور الأساسية، من كتب الأمثال التي كانت موجودة، وإن لم يسمِّها في كتابه باسمها، ولاشك أن العسكري يسير على عادة عصره ، حين لا يشير إلى مصادره المكتوبة، بل يذكر شيوخه الذين قرأ عليهم كتب الأمثال[2].

10- المستقصى في أمثال العرب للزمخشري (ت 538)، رتّب فيه الأمثال على ترتيب حروف المعجم، وقد عُني بشرحها بإيراد قصصها، وكان يذكر النكت والروايات فيها، ويكشف عن معانيها وينبه على أصولها، ويلتقط أبيات الشواهد لها، ويتحرى الاختصار

(1) الأعلام 2:277.

(2) انظر الأمثال العربية القديمة ص 115وما بعدها.

ويجرد الألفاظ عن الفضلات التي يُستغنى عنها في حط اللثام عن وجه المعنى.

11-أفرد يوسف بن طاهر الخويّي (549هـ) كتابا في الأمثال العربية وسمه بعنوان: (فرائد الخرائد في الأمثال)، وقد جاء الكتاب في ثلاثين بابا، خص تسعة وعشرين بابا للحروف، بدأه بالهمزة بعد المقدمة، ثم سار على ترتيب الحروف حتى وصل إلى الباب الثالث والعشرين في باب اللام؛ ليفصل عنها الأمثال المبدوءة بـ (لا) ويجعل لها عنوانا وبابا مستقلا هو الباب الرابع والعشرون فيما أوله لا، ثم يكمل باقي الحروف، فتسبق الواو في الباب السابع والعشرين الهاء التي وردت تالية لها في الباب الثامن والعشرين، وينتهي بالياء، ثم يفرد الباب الثلاثين للحكم والمواعظ الواردة عن السلف الصالح من الصحابة والتابعين، وأئمة الفقه والزهاد والعلماء.

وهو بهذا المنهج تفرد طريقة وأسلوبا ومادة، وتميز من كتب الأمثال الأخرى، وإذا قلنا إن مجمع الأمثال هو أوسع كتب الأمثال في المادة المثلية، فإن فرائد الخرائد إذا ما أضفنا إليه الحكم والأشعار السائرة والمواعظ، يصبح أوسع هذه الكتب على الإطلاق.

وإذا كان الخويي قد أراد كتابًا لا إكثار فيه فيمل، ولا إيجاز فيه فيخل، مقصورًا على المقصود المهم والغرض الملم، فإنه قد استوعب من الأمثال الأصلية غير المولدة ما مجموعه ألف وسبع مئة وعشرون مثلا. ولو أفردنا تلك الأمثال الواردة في غرض

واحد التي كان الخويي يفصل جمعها في رأس مثل واحد لزاد العدد، مثال ذلك ما ورد في ما جاء على أفعل، في حرف القاف في الباب الواحد والعشرين في المثل رقم 1196: أقبح أثرا من الحدثان، ومن قول بلا فعل، ومن منٍّ على نيْل، ومن تيه بلا فضل، ومن زوال نعمة، ومن غول ومن خنزير، ومن قرد. أما قضية الاختصار، فلم يقل بها صاحب الكتاب وإن أبان في ما ذكرناه من ثنائه على أستاذه، أنه يريد كتابا في الأمثال يستبعد منه الحشو والتطويل والمجهول والغريب [1].

12- أعد الشيخ إبراهيم الأحدب (1891م) كتابا وسمه باسم فرائد اللآل في مجمع الأمثال، و نحا فيه منحى القدماء في التعليم، وذلك بتقييد هذا العلم بالشعر؛ لأن لغة الشعر تفوق لغة النثر في الحفظ، إذ نظم كتاب مجمع الأمثال شعرا، حيث بدأ بعقد مقدمة في معنى المثل وما قيل في الأمثال، ومن ثم بدأ بنظم الأمثال الواردة في كتاب الميداني شعرا، نحو، قوله:

بنطقه للسِّحر عمرٌو حلَّلا   وإنَّ مِن بيانه سحرًا حلا

وذلك في لفظ المثل: إن من البيان لسحرًا، وهو المثل الأول الذي يطالعنا في كتاب مجمع الأمثال، ثم انتقل إلى نظم جميع الأمثال الفصيحة، وبعد ذلك انتقل إلى ما ورد على باب أفعل، ثم انتقل إلى أمثال المولدين.

وخص الباب التاسع والعشرين من كتابه بأسماء أيام العرب، ثم ذكر أيام الإسلام. ونظم في الباب الثلاثين، ما شمله مجمع الأمثال من نبذ

(1) انظر مقدمة فرائد الخرائد ص4 ومابعدها.

من كلام النبي صلى الله عليه وسلم، والخلفاء الراشدين من كلام أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وكلام الصحابة نحو كلام ابن عباس وابن مسعود والمغيرة بن شعبة وأبي الدرداء وأبي ذر، ونبذ من كلام التابعين نحو كلام عمر بن عبد العزيز، والحسن البصري. وكان تارة يمهد للبيت المنظوم ببيت يسبقه، ثم ختم مؤلَّفه بأبيات شعرية يثبت فيها انتهاءه من الكتاب وإعداده، وأثبت في خاتمته الثناء على الميداني، وأنه أبدع وأجاد في الغرائب لأصحاب اللباب والحِجا، وأظهر عقد الحُلى للذوق والآداب، ويظهر من خلال الكتب السابقة أنها تناولت جوانب مختلفة من الأدب والنحو بين طياتها، فقد كانت تشتمل على الوقائع والأحداث التاريخية التي وقعت أيام العرب، وسجلت أيضا أسماء سادة القبائل العربية والشعراء، وهذا يُظهر لنا القيمة التاريخية لهذه الكتب، والثروة التي تضمنتها، حيث وضحت الجانب الاجتماعي الذي كان يسود حياة العرب، ومنها ما كان يُعنى بالاتجاه النحوي للغة، حيث تضمنت الكثير من الشواهد النحوية، إضافة إلى هذا يمكن الإشارة إلى الأشعار التي حوتها كتب الأمثال.

إن هذه الكتب والشروحات يظهر فيها عظم المادة العلمية الكامنة فيها حيث قام شُرّاح الأمثال بالتفسير والإيضاح والبيان، وممّا يجدر الإشارة إليه الدقة المتناهية التي ظهرت عند أصحاب كتب الأمثال عند النقل والتوثيق.

وعند النظر إلى الكتب التي عنيت بمجمع الأمثال، نرى الجهد المبذول في عمل الخويي، الذي يتمثل في وضع كتاب يركز على الأمثال المهمة المتداولة والسائرة، لا تلك الأمثال العويصة الغريبة الشاردة.

ومن الكتب التي عُنيت بمجمع الأمثال أيضا كتاب فرائد اللآل في مجمع الأمثال فقد تمثل عمل الشيخ إبراهيم الأحدب بنظم مجمع الأمثال على لغة الشعر، أي إنه قام بتحويل كتاب مجمع الأمثال من لغة النثر إلى لغة الشعر، حيث يُعد تقييد العلوم الأدبية بالشعر من أبرز الأبواب لحفظها، وسهولة تلقينها للمتعلم، ولا تخفى الشواهد العديدة على ذلك، ولو أن في ذلك تصنعا، يؤدي بالمتعلم إلى حفظ النصوص الشعرية دون فهمها في كثير من الأحيان.

الفصل الثالث

مجمع الأمثال

المبحث الأول: مُصنِّفه وآثاره وأقوال العلماء فيه

أحـمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم أبو الفضل الميداني النيسابوري (000- 518هـ) . لُقِّبَ بالميداني النيسابوري نسبة إلى ميدان زياد بن عبد الرحمن؛ وهي مَحِلَّة من مَحَّالِ نيسابور . وقد ولد ونشأ وتوفي في نيسابور حاضرة خراسان الكبرى، ولم يبرح نيسابور إلى غيرها من حواضر العلم الكثيرة في عصره.

كان أديباً فاضلاً عارفاً، ونبغ نبوغا عظيما أدهش أصحابه من الكُتَّاب، وأتقن العربيّة خصوصاً اللغة وأمثال العرب. وكانت له يد باسطة في أنواع الأدب، وقد سمع الحديث وقام بروايته.

تتلمذ الميداني على بعض أعلام عصره، ومنهم أبو الحسن الواحدي صاحب التفسير المشهور الذي اختص بصحبته، فأخذ عنه وسمع التفسير منه، وقرأ النحو عليه، ثم قرأ على غيره أمثال يعقوب بن أحمد النيسابوري، وكتب عن الإمام أبي الحسن علي بن فضال المجاشعي النحوي، ولا يُعرف من أسرة الميداني سوى ابنه أبي سعد سعيد، وقد كان كوالده أديبا فاضلا ، وله كتاب سمّاه الأسمى في الأسما. توفي الميداني نهار الأربعاء الواقع في الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة 518هـ[1]، جمع الميداني بين علوم التفسير والنحو واللغة والأدب، وخلّف السفر العظيم الموسوم بمجمع الأمثال الذي لم يدون في بابه مثله قط، وهكذا أفاد الميداني المكتبة العربية بجملة تصانيفه، لما كان لها من

([1]) ينظر في ترجمته إنباه الرواة 156:1، معجم الأدباء 511:2، وفيات الأعيان 148:1، الوافي بالوفيات 327:7 .

أهمية في آداب العربية وعلومها، وأورد هنا ثبتًا بمؤلفاته، كما أوردها ياقوت الحموي والسيوطي والصفدي:

- الأنموذج في النحو، وقد نشره النبهاني في إستانبول سنة 1299هـ.
- السامي في الأسامي. وهو معجم في الفقه والأحياء والآثار العلوية والآثار السفلية، للكلمات العربية مع شرح بالفارسية، أكمله في التاسع عشر من رمضان سنة 497هـ. وقد وجد الباحث أنه كتاب مطبوع، وقد حققه محمد موسى هنداوي، ونُشر في عمان، 1967.
- شرح المفضليات.
- المصادر.
- نزهة الطرف في علم الصرف، وهوكتاب مطبوع، ونُشر في القاهرة، 1993م[1].
- مجمع الأمثال: وهو ستة آلاف مثل ونيف، وطُبع طبعات مختلفة من أجودها طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد.

(1) ينظر معجم الأدباء 2: 511، إنباه الرواة 1:157،الوافي بالوفيات 7:326.

وأضاف بروكلمان إلى تصانيف الميداني:

- كتاب الهادي للشادي، وهو كتاب في النحو مع تعليقات وشروح بالفارسيّة، ألفه بعد كتاب السامي.
- بحث عن بناء الجمع والحروف.
- رسائل نحوية صغيرة.
- تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، وطُبع في القاهرة بلا تاريخ، كما طُبع في بيروت سنة 1319هـ، وقد نشره طاهر الجزائري عن مخطوطة الخالدية بالقدس التي كُتبت سنة 963هـ.
- قيد الأوابد من الفوائد[1].

وأجمعت كتب التراجم التي ترجمت للميداني على وصفه بالعلم والفضل، فقد وصفه علماء التراجم أنه إمام أهل الأدب في عصره. وقد اشتهر بأدبه، وعُرِف في البلدان بتصانيفه المتقنة المشهورة. قرأ الأصول وأحكمها، ثم أخذ في التصنيف فأحسن كل الإحسان فيما جَمَعَهُ وصنفه، وتقدم بالترتيب والتحقيق، وأحسن على غيره فيمَن وقع في الزلل من المصنفين، وبذلك شهد له الأقران الذين عاصروه.

ومن اطلع منهم على كتبه فقد شهد بفضلها، وفي هذا قال عنه القفطي: "قرأ الأصول وأحكمها، ثم أخذ في التصنيف فأحسن كل

(1) تاريخ الأدب العربي 214:5.

الإحسان فيما جَمَعَهُ وصنفه، وأربى على من تَقَدم بالترتيب والتحقيق، واستدرك على بعض مَن زَلّ قبله من المصنفين "[1].

وقال عنه: "الإمام أستاذنا، صدر الأفاضل أحمد بن محمد بن أحمد الميداني، صدر الفضلاء، وقدوة الأدباء ، قد صاحَبَ الفضل في أيام نَفِد زاده، وفني عتاده، وضاعت عدته، و بطلتْ أَهْبَتُهُ، فقوّم سِناد العلوم بعدما غَيّرتها الأيام بصروفها، ووضع أنامل الأفاضل على خطوطها وحروفها، ولم يخلق الله تعالى فاضِلاً في عصره إلا و هو في مأدبة أدبه ضيف "[2].

ونقل الصفدي صاحب الوافي بالوفيات حين ترجم له قول محمد بن أبي المعالي ابن الحسن الخواري في كتابه: ضالة الأديب من الصحاح والتهذيب، فقال: "سمعتُ غير مرة من كبار أصحابه يقولون: لو كان للذكاء والشهامة والفضل صورة، لكان الميداني تلك الصورة، ومن تأمل كلامه، واقتفى أثره علم صدق دعواهم "[3].

ويظهر من خلال عرض النصوص السابقة، والنظر فيها، أن الميداني قد احتل مكانة عظيمة، وأنّه اشتغل بعدة علوم من علوم اللغة، فقد دوّن

---

(1) إنباه الرواة 156:1.

(2) المرجع السابق 157:1.

(3) الوافي بالوفيات 327:7.

الكتب المفيدة في علم النحو والصرف، والأمثال العربية، وقد اشتهر عند العلماء عامّة بالتصانيف الحِسان المفيدة، وقد تقدّم على من سبقه بترتيبه وتنظيمه للمصنفات، وكان يستدرك على المصنفين الذين تقدموا عليه في التصنيف والتأليف، وفي هذا دالّة نباهة وعلم تميّز بها عن غيره، والدقة التي تحلّى بها في ترتيب العلوم وتصنيفها، فها هو يُحسن التأليف ويُبدع، ويُصوّب ويُصحح، وقد شهد له أقرانه بالذكاء والفضل والشهامة، ومن تبحّر في طيّ مصنفاته علم صدق ما وسمه به أصحابه، ومن نظر في مجمع الأمثال تحديداً، علم عِظم القيمة العلميّة التي أودعها الميداني في هذا الكتاب، والتي تؤيّد ما قيل فيه.

المبحث الثاني: مجمع الامثال للميداني – دراسة لغوية دلالية

سبب وضعه ومصادره ومنهجه:

يذكر الميداني في توطئة كتابه أَنَّ سبب وَضْعه هذا الكتاب هو ضياء الدولة منتخب المُلْك أبو علي محمد بن أرسلان الذي أشار عليه بجمع الكتاب وَوَضْعه حيث يقول: "هذا ولمَّا تقدر ارتحالي عن سُدَّته، عَمَّرها الله بطول مدته، أشار بِجَمْع كتاب في الأمثال، مُبَرِّز على ما له من الأمثال، مشتمل على غثِّها وسمينها، محتوٍ على جاهليها وإسلاميها، فعدت إلى وطني ركْضَ المنزع شمرة الغالي، مشمرًا عن ساق جِدِّي في امتثال أمره العالي "[1].

ويقول الميداني في ذكْر مصادر كتابه:"فَطالعت من كتب الأئمة الأعلام، ما امتَدَّ في تَقصيِّه نَفَسُ الأَيَّام، مثل كتاب أَبي عُبيدة وأبي عُبَيْد، والأصمعي وأبي زيد، وأبي عَمْرٍو وأبي فَيْد، ونظرتُ فيما جَمَعَهُ المُفَضَّل بن محمد، والمُفَضَّل بن سلمة، حتّى لقد تَصَفَّحتُ أكثر من خمسين كتاباً، ونَخَلْتُ ما فيها فصلا فصلا وباباً باباً، مُفتِّشاً عن ضَوالِّها زوايا البقاع، ونقلت ما في كتاب حمزة بن الحسن إلى هذا الكتاب، إلا ما ذكره من

[1] مقدمة الميداني1:4. ركض المنزع: سريع العودة إلى الوطنِ. شمرة الغالي: خفَّة المتجاوز الحد.

خـرزات الرُّقى وخُرافات الأعراب، والأمثال المزدوجة لاندماجها في تضاعيف الأبواب "[1].

هكذا ذكر الميداني في مقدمة كتابه أهم المصادر التـي اعتمد عليها في تصنيف الكتاب، وبعدها انتقل إلى ذكر أسماء رواة الأخبار التاريخية، ومنهم عبيد بن شرية والشرقي بن القطامي، وبعد ذلك أوضح منهجه في التصنيف حيث عمد إلى ترتيب كتابه على نسق حروف المعجم، وكان لا يعد ألف الوصل والقطع والأمر والاستفهام، ولا ما ليس من أصل المثل حاجزًا إلا ما كان من هذه الحروف من أصل المثل، ثم أتبع ذلك بذكر الأمثال الواردة على وزن أفعل، وانتقل بعدها لذكر أمثال المولدين، وخَصّ الباب التاسع والعشرين بذكر أيام العرب دون وقائعها، وجعل الباب الثلاثين في نبذ من كلام النبي عليه السلام وكلام خلفائه الراشدين، أمّا منهجه في تصنيف الكتاب، فيتلخّص في أنّه رتّبه على حروف المعجم في أوائلها، وذكر في توضيح المثل بعض المغاليق في اللغة والنحو، وافتتح كل بابٍ بما نقله من كتاب أبي عبيد، ثم أعقبه بما جاء على وزن (أفعل)، ثم أورد أمثال المولدين دون شرحٍ أو توضيح[2].

([1]) انظر المرجع والصفحة نفسها.

([2]) انظر مقدمة الميداني 1:4.

ثم يقول: "وسميت الكتاب مجمع الأمثال، لاحتوائه على عظيم ما ورد منها، وهو ستة آلاف ونيّف"[1]، ومن تتبّع أمثال المولدين في الكتاب، يجد الميداني قد حكم عليها بأنّها من أمثال الفصحاء حينًا، وحكم عليها من أمثال المولدين حينًا آخر؛ ولهذا يجب إعادة النّظر والبحث في هذه الأمثال، حتّى يظهر صدْق الحكم فيها، إن كانت من أمثال المولّدين أو من أمثال الفصحاء، ونذكر بعض هذه الأمثال على سبيل التّمثيل، ومنها قوله: "لاَ يَذْهَبُ العُرْفُ بَيْنَ اللهِ وَالنَّاس" (3664)، فقد ذكره في أمثال الفصحاء، وهو عجُز بيتٍ للحطيئة من بحر البسيط التّام، حيث قال:

من يفعل الخير لا يعدم جوازيهُ   لا يذهبُ العرفُ بين الله والناس[2]

ولكنّ الميداني عمد إلى ذكْره تارة أخرى في أمثال المولّدين[3].

وقد وقع الميداني في التكرار غير مرّةٍ، فقد وردت عنده أمثال مُكرّرة، ذكر كُلا منها في غير موضع من تضاعيف الكتاب، ومنها قوله: "أَشْرَبُ مِنْ رَمْلٍ" (2065)، وأعاده بلفظ "أشْرَبُ مِنَ الرَّمْلِ وَ "مِنَ الْقِمَعِ" وَ "مِنْ عَقْدِ الرَّمْلِ" (2077)، ومنها قوله: "أَسْرقُ مِنْ

(1) مجمع الأمثال 5:1.

(2) والبيت في ديوان الحطيئة ص109.

(3) مجمع الأمثال 260:2.

شِـظَاظٍ" (1867)، وكـرّره بلفـظ: "أَلْـصُّ مِـنْ شِـظَاظٍ وَمِـنْ سِـرْحَانٍ" (3745)، ومنهـا قولـه: "إِنَّـكَ لا تَجْنِـي مِـنَ الشَّـوْكِ العِنَـبَ"(209)، وأورده بلفظـين آخـرين همـا: "أعْجَزُ مِـنَ جـانِي العِنَـبِ مِـنَ الشَّـوكِ" (2644)، ولاَ تَجْنِ مِنَ الشَّوْكِ العِنَبَ" (3582).

المبحث الثالث: قيمته الفنيّة

جمع كتاب مجمع الأمثال للميداني كمّاً لا يستهان به من الأمثال العربية القديمة، لوفرة كتب الأمثال العربية التي وقعت بين يديه، فقد تصفح أكثر من خمسين كتابا، وقلّب ما فيها فصلا فصلا وبابًا بابًا، وبدأ ينقد هذه الأمثال، ويختار منها ما اطمأن إليه مبتعدًا عن خرافات الأعراب، إضافة إلى ما كان يضيفه في تضاعيف أمثاله من الشروح المفيدة التي تضمنت مسائل النحو والإعراب.

وقد اكتسب مجمع الأمثال إعجاب الناس، فوصف بأنه كتاب لم يُعمل في بابه مثله قط، وإنه لجدير بهذا الوصف الرائع لاحتوائه من الأمثال القديمة ما لم يحْوِهِ كتاب غيره ، ولأنه كتاب قد أجاد فيه مصنِّفه شرح المثل، وقد نال كتاب مجمع الأمثال شهرة مستفيضة بين العلماء والمُصنفين، ولا يدعونا العجب إذا ما طالعتنا أخبار مفادها أن الزمخشري لما وقع كتاب الميداني بين يديه، واطلع عليه وتصفحه ندم على تأليف كتابه المستقصى لأنه رآه دونه في التصنيف.

ومن مظاهر أهمية مجمع الأمثال وشهرته أن أقبل عليه العلماء اختصاراً ونظماً، ويُضاف إلى ذلك الروايات التاريخية التي سجّلها الميداني في كتابه نقلا عن رواة الأخبار التاريخيّة، وهذا كله يُظهر القيمة الفنية لكتاب الميداني الذي شمل كثيرًا من المسائل والقصص والأخبار، وذلك

لأن الميداني عَمَدَ إلى الرجوع لعدد كبير من كتب الأمثال، وقام بتمحيص ما فيها، وطرح ما في هذه الكتب من الخرافات، ونقد هذه الأمثال نقدا سليما قبل القيام بتدوينها، حتى يُخْرِج الكتاب في أبهى صوره.

يُضاف إلى ذلك رجوعه لعدد من الكتب اللغوية المهمة كما أشار في مقدمته، وفي هذا دلالة على سعة اطلاعه ومدى تمكنه من المادة العلمّية التي أدرجها في كتابه، والحق أن الميداني رفع من قدْر كتابه بما أضاف إليه من أيام العرب، وما زاد فيه أيضا نبذا من كلام النبي صلى الله عليه وسلم، وكلام الصحابة والتابعين، ويُضاف إلى ذلك الثروة الشعرية الكبيرة التي حواها كتاب مجمع الأمثال بين طيّات كواغده، فمن هذه الأشعار ما كان يفسر فيه المثل، ومنها ما كان يزيده لتوضيح المثل الوارد عنده ، ومن هذه الأشعار ما كان أصلا للمثل.

ويذكر تلميذ الميداني (يوسف الخوئي) قوله في مجمع الأمثال وهو ينوّه إلى فضله، بقوله: "وقد وفق الإمام الشهيد أستاذي وإمامي أبو الفضل الميداني، رحمه الله تعالى، لنظم عقدها المتبدد، وجمع شملها المشتت، في سلك كتاب مجمع الأمثال "[1].

([1]) فرائد الخرائد ص5.

ويقول زلهايم: "مع ملتقى القرن الخامس بالسادس الهجري، جمعت الأمثال العربية القديمة في كتابين ضخمين هما: "مجمع الأمثال" للميداني، و"المستقصى في أمثال العرب" للزمخشري، وقد أصبح هذان الكتابان مرجعين كبيرين لهذا النوع من الأدب، وبقيا كذلك حتى يومنا هذا"[1].

وهذا كله يُظهر أهمية مجمع الأمثال، إضافة إلى ما ورد فيه من المادة العلمية الكبيرة التي استوعبت كتب الأمثال السابقة أو أكثرها، والمراجع التي أشار الميداني في مقدمته إلى الرجوع إليها، والمراجع اللغوية التي عمد إليها.

---

(1) الأمثال العربية القديمة ص 209.

المبحث الرابع: طبعاته

طُبع مجمع الأمثال طبعات عدَّة في أوقات متفاوتة امتدت لأكثر من مئتي سنة، ابتداءً من طبعات بعض المستشرقين. وهذا ثبت بهذه الطبعات:

- طبعة المستشرق الهولندي هنريك البرت شولتز، طبعة ليدن عام 1773م.
- طبعة المستشرق فريتاج طبعة بون 1838م.
- طبعة محمد الصباغ ومحمد قطة العدوي، طبعاه في مصر – بولاق 1284هـ.
- طبعة الشيخ حسين بن أبي بكر الملقب بالنجمي الكرماني، طبع في طهران 1290م.
- طبعة القاهرة – مطبعة الخيرية 1310هـ، وبهامشه جمهرة الأمثال للعسكري.
- تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ثلاث طبعات آخرها 1392هـ.
- تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم– القاهرة 1398هـ - 1978م.

- تحقيق جان عبد الله توما – دار صادر بيروت – 2002م.

- تحقيق قصي الحسين – منشورات دار الهلال – بيروت – 2003م.

- تقديم وتعليق نعيم حسين زرزور، دار الكتب العلمية – بيروت – 2004م.

ويظهر من خلال الطبعات المعروضة أن في هذا إشارة لأهمية الكتاب، ومدى العناية به دون غيره من كتب الأمثال؛ ممّا يعطي دلالة واضحة على أهميته البالغة وتميزه بين كتب الأمثال، وعند النظر إلى التاريخ المدرج في الطبعات نلحظ التسلسل الزمني في الطبعات، فقد اعتنى به المحققون والعلماء حتى فترات قريبة، وغير ذلك المختصرات التي ألفت في مجمع الأمثال، وقد وقع اختيار الباحث على طبعة الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد، لأنها من أجود الطبعات وأحسنها، ولما لها من عناية بالشواهد الواردة في الكتاب.

المبحث الخامس: بين مجمع الأمثال والمستقصى

ويدعونا قول زلهايم عند حديثه في الصفحات السابقة عن المجمع والمستقصى إلى إجراء مقارنة عجلى بين الكتابين، وبيان ما بينهما من فروق، بعد أن تبيّنا خصائص المجمع وصفاته ووقفنا على منهاجه وطريقته، إذا ما حاولنا عقد مقارنة بين مجمع الأمثال وغيره من الكتب المختصة بالأمثال سنجد أن من الأفضل مقايسة الضد بالضد، والمثل بالمثل، ولهذا أحب الباحث أن يعقد موازنة بين أهم كتابين برزا في الأمثال، وهما : مجمع الأمثال، والمستقصى في أمثال العرب.

يقول زلهايم: "وإذا ما نظرنا إلى مقدمة الزمخشري فإننا نجد أنه يذكر في مقدمته أنه يسير فيه على النظام الأبجدي الدقيق، لأنه أوضح النُّظُم للعثور على الأمثال بسهولة. وأنه يذكر في شرحه لكل مثل القصص والحكايات والتعبيرات التي يتطلبها المثل، وطريقة فهمه واستخدامه، وبعض الشواهد، وكذلك الرواة والمصادر التي يرجع إليها، نجد الميداني يذكر في مقدمته إلى جانب الملاحظات العامة أهم المصادر بالاسم"[1]، وكذلك إذا نظرنا إلى المادة العلمية المطروحة في الكتابين، نرى أن كتاب الزمخشري أقل ضخامة من كتاب الميداني.

([1]) الأمثال العربية القديمة ص212.

وفي ذلك يقول زلهايم: "أما المستقصى للزمخشري، فإنه ليس بضخامة مجمع الأمثال للميداني، وإذا صرفنا النظر عن أن هذا الكتاب لا يوجد به أمثال مولدة، تلك الأمثال التي أثارت فيما بعد اهتماما لا يقل عن الاهتمام بالأمثال القديمة، فإن المستقصى– وقد ألفه صاحبه في شبابه– يعاب كذلك بأن الأمثال لم تعالج فيه علاجا كاملا كما في مجمع الأمثال. وعلى العموم يبدو أن الزمخشري قد اعتمد في تأليف المستقصى على المصادر الأساسية نفسها التي استخدمها الميداني. وليس في المستقصى إلا القليل من المادة الجديدة التي لا نعثر عليها فيما بقي لدينا من كتب الأمثال الأخرى"[1]، ويظهر أن المادة العلمية التي اعتمد عليها الميداني والزمخشري واحدة، ومع هذا فإن الميداني فاق الزمخشري في ترتيب الكتاب وإعداده، حتى إن الزمخشري لما سمع بكتاب الميداني، واطلع عليه ندم على تأليف كتابه المستقصى؛ لأنه رآه دون المجمع.

ويخلص الباحث من خلال هذه المقارنة إلى ما يلي:

- كتاب الزمخشري أقل من كتاب الميداني في مادته العلمية.
- تناوُل الزمخشري للمثل لم يكن واسعا كما في كتاب الميداني، ويشمل ذلك الاستشهاد على المثل بالشعر، والقرآن، وتوضيح قصة المثل.

---

(1) الأمثال العربية القديمة ص212.

كلا الكتابين اعتمد على المصادر نفسها، مع ذلك نجد في المستقصى القليل مـن المادة العلمية، التي لا نجدها في كتب الأمثال عامة.

المبحث السادس : دراسة إحصائيّة

تمهيد

مجمع الأمثال حديقة غنّاء زاخرة بكل الألوان والثمرات، اشتملت على طائفة من الأمثال حفظت جانبًا من العربيّة وتراثها اللّغوي، وتنوعت مصادرها وموضوعاتها وأنماطها اللغويّة. وقد استوفيت أمثال الميداني في حرف الباء عدا ما ورد من أمثال المولدين، فأكثرها أقوال مطلقة مستندة إلى التجارب الإنسانيّة، ذكرت مختصرة غاية الاختصار ، حتّى إن المُصنّف ذكرها خلوًا من أيِّ تعليقٍ أو تحقيق، لذا كان لابدَّ من دراسة هذه المصادر والموضوعات والأنماط اللغويّة، حيث تمَّ تصنيفها فيما يلي:

مصادر الأمثال وموضوعاتها وأنماطها اللغوية:

أُخذت بعض أمثال الكتاب من القرآن الكريم، واقتبست من الآيات، فاستمدّت منها قوّة الأسلوب، وتميّز العبارة، وبلاغة التعبير، وأُخذ بعضها الآخر من الحديث الشريف، من جوامع الكلم الذي أكسبها فصاحة العبارة، وحسن الأداء، أمّا الشعر القديم – وهو ديوان العرب – فَبَديهيٌّ أن يستمد كثير من الأمثال أصوله منه، ليعكس بذلك رواج الشعر العربي في زمن المؤلّف، وبالإمكان القول إنَّ كثيرًا من أمثال

الميداني استندت إلى الشعر العربي، وأُخذت منه، وتُعدُّ الأمثال الشعريّة الأكثر وروداً قياسًا مع أمثال القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، أمّا سائر أمثال الكتاب، فهي مستمدّة من أقوال العرب وعباراتهم البليغة المبنيّة على تجارب الحياة العمليِّة، وإبداعات الفكر النظريّة.

ويجب الإشارة في هذا الموطن، إلى أن الأمثال التي وردت مأخوذة من أقوال العرب الفصحاء، خلاف الأمثال التي أوردها الميداني في الباب الأخير من كتابه، تنوّعت موضوعات الأمثال ومضامينها تنوعًا واسعاً، حتّى صرنا نجد في المجمع أمثالا متصلة بالعقيدة والمفاهيم الإسلاميّة، وأخرى تعكس صورة الحياة الاجتماعيّة ، والعادات والتقاليد التي سادت في المجتمعات العربيّة، ولا يخفى على الناظر في هذه الأمثال، أنّها احتلت كمّا جيّدًا من حيّز الكتاب؛ وذلك لأنَّ هذه الأمثال قيلت من أجل معالجة القضايا المتعددة في المجتمع، وكما نعلم أنّ الأمثالَ جاءت لبيان قيمة اجتماعيّة معيّنة، ويُلحظ بوضوح أن الأمثال تُقال بمناسبات متشابهة، وأكثر ما تُطرق هذه القضايا في الحياة اليوميّة المأخوذة من واقع النّاس المألوف.

وطائفة ثالثة مثّلت أفكارًا تربويّة متصلة بأساليب التنشئة والتربية والتقويم، ودالّة على ما وصل إليها أصحابها من مستوى فكريٍّ راقٍ، وفي الحقيقة إن التربية بالمشابهة والمحاكاة من أفضل سبل التعليم؛ وذلك

لأنّها تُمثّل ميزانًا راسخًا يُحفظ في القلب والذهن، فجاءت هـذه الأمثـال التربويّة لتحقق هذا الهدف، وفي ذلك المشهد الـذي يعاينـه ضـارب المثـل للمضروب له المثل أبْلغ العظة والعَبْرة؛ لأنّه ربّما بعد قيامه بالعمـلِ، نـدم على ما قام به، فأراد بعد ذلك نُصحًا وإرشادًا وتوجيها ، فتقـدّم ضـارب المثل له بالتوجيه والإرشاد من خلال سرد المثل، ومن قام بالعمـل، وتنبّـه بعد ذلك فتنبّه، لم يَعُدْ لتكرار الفعل خشية الوقوع في الخطأ تارة أُخرى.

وعكست طائفة أخرى من الأمثـال قصصًـا تاريخيًّـا، كـان المؤلـف يستغل ذكرها في الأمثال، فيعرض لها عرضًا مـوجزًا حينًـا، ويعـرض لهـا عرضًا مفصّلاً حينًا آخر.

والأمثال التي ورد فيها الدلالات التاريخيّة كثيرة، وقد أفرد الميـداني لها بابًا خاصا، وهو الباب التاسع والعشرون من الكتـاب، فقـد ذكـر فيـه أسماء أيّام العرب الجاهليّة، وقد ذكر بعض هـذه الأيّـام موضّـحًا أسمـاء قبائلها، أو ذاكرًا مواضع مواقعها الجغرافيّة، وبعضـها اكتفـى بـذكر اسـم اليوم دون أيِّ تفصيلٍ أو توضيح، وخلص إلى عبـارةٍ مهمّـةٍ وهـي قولـه: " وهذا الفن لا يتقصّاهُ الإحصاء، فاقتصرت على مـا ذكـرت " ، وإذا قـرر الميداني هذا، فإنَّ مجال بحثهـا واسـع متشـعب، ووجـب الرجـوع فيـه إلى المصادر التاريخيّة المتعـددة، وهـذه المصـادر منهـا مـا هـو مختص بأسمـاء القبائـل والرجـال والأنسـاب، ومنهـا مـا هـو مختص بمواضـع البلـدان

وأماكنها، ومنها ما هو مختص بالتاريخ القديم المروي في زمن الجاهليّة ، وغير ذلك من المصادر الأخرى، والتي فاضت بها كتب الأدب، والتاريخ، والرواية، وفي خلاصة هذا الباب عمد إلى ذكر أيّام الإسلام خاصّة.

تنوعت أنماط الأمثال اللغويّة المعروضة في الكتاب بين العبارات الأدبيّة الإنشائيّة والخبريّة والسرديّة، فمن تلك الأمثال ما جاء معتمدًا على أسلوب النهي، ومنها ما كان معتمدًا على أسلوب النفي، ومنها ما اعتمد على أسلوب الاستفهام والتصغير والتفضيل، وغير ذلك من الأساليب المتعددة.

وقد دُعّمت تلك الأساليب بالأسلوب القصصي، ومعلوم أنَّ هذا الأسلوب يشد القارئ إلى معرفة ما وراءه من فكرةٍ وهدفٍ يحاول العثور عليها واستخراجها. ولجأ المصنّف إلى ذكْر الحادثة الكامنة وراء المثل بأسلوب قصصيٍّ مناسب، تقريبًا للمثل من الأفهام، وتشويقًا للقارئ.

والأمثال التي ورد فيها القصص والأخبار كثيرة ، ولا يكاد باب من أبواب الكتاب لم يطرقها؛ لأنَّ الميداني عمد في شرح هذه الأمثال بذكر القَصص والأخبار التي صاحبت الأمثال، ومن الأساليب المتّبعة في إيراد المثل وشرحه الأسلوب السردي، الذي يذكر فيه حقائق المثل ومعانيه مجردة من أيِّ أسلوبٍ زخرفيٍّ، كما أنّه اكتفى في كثير من الأحيان

بإيراد المثل دون شرْحٍ أو تعليق مكتفيًا بذكره، وتاركًا للقارئ استنتاج ما يريد منه.

جداول إحصائيّة:

اخترت من الكتاب الباب الثاني فيما أوله باء، واشتمل هذا الباب على مئةٍ وثمانين مثلاً[1]، منها مئةٌ وخمسةٌ وثلاثون مثلاً مبدوءة بحرف الباء ، وخمسة وأربعون مثلاً على وزن أفعل، وقد أجريت دراسة إحصائيّة لهذه الأمثال تناولت مصادرها وموضوعاتها وأنماطها اللغوية، حسب الجدول التالي:

جدول رقم (1)

يبين مصادر الأمثال

المصدر	العدد
أمثال مأخوذة من القرآن الكريم	2
أمثال مأخوذة من الحديث الشريف	1
أمثال مأخوذة من الشعر	27
أمثال مأخوذة من أقوال العرب	9
أمثال أخرى	141

(1) مجمع الأمثال 1:90-121.

(أ) يلاحظ في هذا الجدول، أنَّ الأمثال المعتمدة على القرآن الكريم والمأخوذة منه محدودة، فمنها قوله: "أَبَيَنُ مِنْ فَلَقِ الصُّبْحِ وَفَرَقِ الصُّبْحِ" (597). وظاهر أنّه استعار للمثل لفظة الفلق، والفلق والفَرق هما الفجر، ولفت ذلك نظر المُصنِّف فأورد قوله تعالى: "قل أعوذ برب الفلق"، ربطًا بين الآية الكريمة والمثل، أمّا الأمثال المأخوذة من الأحاديث الشريفة فمثالها قوله: "أَبْغِضْ بَغِيضَكَ هَوْناً مَّا" (544). وهو جزء من حديث شريف نصّه "أحبب حبيبك هونًا مّا، عسى أن يكون بغيضك يومًا مّا، وأبغض بغيضك هونًا مّا، عسى أن يكون حبيبك يومًا مّا"[1]، وإذ استعار المُصنِّف لفظة قرآنيّة في المثل السابق، فقد استعار هنا جزءًا من الحديث، وقصر المثل عليه، فعلّه رأى أنَّ أقرب عبارةٍ تدل على المقصود منه، هي عبارة الحديث وألفاظه، وإذ استشهد في الأول بالآية الكريمة المأخوذ منها اللفظة، فإنّه أغفل ها هنا الاستشهاد بالحديث ، بل أغفل ذكْر أنَّ المثل الذي أورده هو جزء من حديث شريف.

وإذا ذكر المُصنِّف مثلا مأخوذًا من الشّعر مستندًا إليه، عمد إلى ذكْر الشّعر والشّاعر حينًا، كما في قوله في إيراد المثل "بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضٍ" (455): "هذا من قول طرفة بن العبد حين أمر النّعمان بقتله، فقال:

[1] صحيح الجامع الصغير 111:1، رقم 176.

أبا مُنْذِر أفْنَيْتَ فاستَبْقِ بَعْضَنَا حَنَانَيْكَ بَعْضُ الشر أَهْوَنُ من بَعْضِ[1]"

وإلى ذكْر الشّعر وإغفال الشّاعر حينًا، كما في قوله في إيراد المثل "أَبْطَشُ مِنْ دَوْسَرَ" (593): "قال الشاعر:

ضَرَبَتْ دَوْسَرُ فيهم ضربةً أثبَتَتْ أَوْتاد مُلْكٍ فاستقر[2]"

ودوسر إحدى كتائب النّعمان بن المنذر ملك العرب، وأشدها بطشًا، وسمّيت دوسر اشتقاقًا من النّسر، وهو الطعن بالثّقل لثقل وطأتها، وإلى الاستشهاد بالشّعر بما يظن أنه له علاقة بالمثل من بعيد ، كما في قوله في إيراد المثل: "أَبَادَ اللّهُ خَضْرَاءَهُمْ" (510): "ومنهم من يقول: أباد الله غضراءهم، وهو مأخوذ من البهجة والحزن، قال الشّاعر :

احثُوا التُّرابَ على مَحَاسِنِهِ وعلى غَضَارة وَجْهِهِ النَّضْرِ[3]" (1)

ويُلاحظ من الأمثلة الشّعريّة السابقة أنَّ المثل الأول مأخوذ من الشعر، وأنّه جزء منه. وأنَّ الشّعر في المثل الثاني يومئ من بعيد إلى ما يرمي إليه المثل من بطش كتيبة دوسر وقوتها. أمّا المثل الثالث فجاء الشّعر شاهدًا على رواية أخرى للمثل: "أباد الله غضراءهم"، وفي

---

(1) مجمع الأمثال 1: 94، والبيت في ديوان طرفة ص 66.

(2) مجمع الأمثال 1: 118.

(3) مجمع الأمثال 1: 104.

موضعي الاستشهاد الأخير أغفل ذكْر الشّاعر، ولعل تداول الأمثال الشعرية، يعود ذلك إلى موسوعيّة حفظ الناس للشعر ، وقابليّة الشعر كمادة إيقاعيّة موسيقيّة.

ومن أقوال العرب التي ذهبت مذهب الأمثال، قول عائشة رضي الله عنها: "بِحمْدِ الله لا بحمْدك[1]" (465)، قالته حين بشّرها النبي صلى الله عليه وسلم بنزول آية الإفك، فذهبت مثلاً تتداوله الألسنة في كل حالة مشابهةٍ، يضرب لمن يمنُّ بما لا أثر له فيه.

ومثله قول عبيد الله بن زياد: "أَبْدَى الصَّرِيحُ عَنِ الرَّغْوَةِ" (507) أي وضح الأمر وبان ، قاله لهانئ بن عروة المرادي في قصة له معه[2]، ويظهر أنَّ هذين المثلين نُقلا بألفاظهما الأصليّة، ليمكن إعادة كل منهما إلى قائله كما صدر عنه، والأمثال التي وردت مأخوذة من أقوال العرب، نتجت عن فئة محددة من الناس، وهم الصحابة والفقهاء والعلماء وغيرهم؛ ولذا جاءت قليلة.

وفي المجمع طائفة من الأمثال لا تنتمي في مصادرها إلى أيٍّ من المصادر المتقدمة، ووردت كما أطلقها قائلها دون أن يُعرف هذا القائل، ودون أن

(1) مجمع الأمثال 1: 96.

(2) انظر مجمع الأمثال 1: 103.

يشير المُصنِّف أيّ إشارة تدل على ذلك، ومن ذلك قوله: "أبْهى من القمرينِ[1]" (604) يعني الشمس والقمر، وقوله: "بَلَغَ اللّهُ بِكَ أَكْلأَ العُمُرِ[2]" (564) أيّ بلَّغك الله أطول العمر وآخره، ولعل مرد كثرة هذه الأمثال، أنها ولدت من نبض الحياة الاجتماعيّة، والمقابلات الاجتماعيّة الكثيرة، فجاءت من نبض الشارع الاجتماعي لتخاطب الناس باختلاف مستوياتهم: الثقافيّة والحضارية و المستويات الأخرى. إضافة إلى العلاقات والمواقف الحياتيّة المتنوعة، فقد أسهمت في تكوين مصادر هذه الأمثال.

(1) مجمع الأمثال 1:119.

(2) مجمع الأمثال 1:110.

جدول رقم (2)

يبين موضوعات الأمثال

العدد	الموضوع
4	موضوعات إسلاميّة
148	موضوعات اجتماعية
24	موضوعات تربوية
4	موضوعات تاريخية

(ب) يلاحظ في هذا الجدول، أنَّ الأمثال التي ضُمّنت موضوع العقيدة قليلة إذا ما قيست بالأمثال التي تعالج الموضوعات الاجتماعيّة أو القضايا التربويّة، ولعل مردّ ذلك في نظر الباحث إلى أنَّ التركيز في أمثال المجمع بصفتها العامّة وقع على الأحوال الاجتماعية والتربوية، ولم يكن هدف المُصنّف فيها جمع الأمثال ذات المضامين العقديّة، شأنه في ذلك شأن الأمثال المستمدة من القرآن الكريم والحديث الشريف.

فمن الأمثال التي عالجت أحكامًا إسلاميَّة، ما جاء في المثل: "بَلَغَ الغُلاَمُ الْحِنثَ[1]" (527)، ومنه أيضًا " بعْضُ القتلِ إحياءٌ للجميعِ[2]"(529)، ومعنى الأول أنَّ الغلام بلغ مبلغ الرِّجال، ودخل مرحلة التكليف، والحنث: الإثم، ويُراد بها هنا المعصية والطاعة، أي أصبح مسؤولا عن أعماله مُحاسبًا عليها.

والثاني مستمد من قوله تعالى: "وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ"[3]. وهو حدٌّ من الحدود يقضي بأنَّ إيقاع القتل في القتلةِ والمجرمين إحياء للمجتمع وحماية له، وصيانة لحياة أفراده، أمّا الموضوعات التي عالجت القضايا الاجتماعيّة فكثيرة منها، قوله: "بِأبِي وُجُوهَ الْيَتَامَى[4]" (453)، أي أَفدي بأبي وجوههم، وهو مثل يُضرب في التحنّن على الأقارب. وفي أصل المثل ذكر المصنِّف حادثة تاريخيّة للنّعمان بن المنذر كانت سببًا في إطلاق هذا المثل، وأورد روايات مختلفة له، واستشهد ببعض الشّعر فيه.

---

(1) انظر مجمع الأمثال 1: 103.

(2) انظر المرجع والصفحة نفسها.

(3) البقرة 179.

(4) مجمع الأمثال 93:1.

ومن هذه الأمثال الاجتماعيّة المعرفيّة قوله: "أبْصر من الوطواط بالليل[1]" (579) ، فقد أضاف المثل معلومة في أشدّ المخلوقات حدّة بصر، وأورد المصنّف في بيانه معاني لغويّة أُخرى للوطواط.

والأمثال التربويّة تعكس قيمة اجتماعيّة تربويّة كما في قولهم: " بالرّفاء والبنين[2]" (495)، فالرّفاء: الالتحام والاتّفاق، مأخوذ من رفْو الثّوب. والمثل يُقال في تهنئة المتزوجين، وتمنّي الإنجاب والحياة السعيدة لهم، ومن الأمثال التي تعكس قيمة تربويّة أخلاقيّة قولهم: "بِئْسَ مَحَلاًّ بِتٌّ في صَرِيمٍ[3]" (560)، والصريم: الليل، وهو كذلك الصّبح ، فهو من الأضداد، ويُراد بالمثل: بئس المحل محلا بتُّ فيه.

أمّا الأمثال التاريخيّة فهي التي استشهد المصنّف في إيرادها في قصص من التّاريخ تُجلّي المثل وتوضّح قصّته، وكان ذلك القصص يطول أو يقصر حسب المقام؛ فممّا طال ما أورده في بيان المثل: "أَبْلَغُ مِنْ قُسٍّ[4] (567)، وهو قُس بن ساعدة الإيادي، من حكماء العرب وعقلائهم في الجاهليّة، ومن فصحائهم الّذين ضُرب المثل في فصاحته وبلاغته، فإذا ما

(1) مجمع الأمثال 116:1.

(2) مجمع الأمثال 100:1.

(3) مجمع الأمثال 109:1.

(4) مجمع الأمثال 111:1.

أُريد وصف أحد بالبلاغة والفصاحة قيل: أَبْلَغُ مِنْ قُسٍّ، وفي الكلام على المثل ذكر المصنِّف "أوّليّات" قُس، ومنها أنّه أوّل من قال: أمّا بعدُ، البيّنة على مَنْ ادَّعَى واليمينُ عَلَى من أنكر.

ثمّ ذكر قصّة قدوم وفْد بكر بن وائل على رسول الله صلى الله عليه وسلّم، فسألهم عن قُس بن ساعدة فعرفوه، وأخبروه بموته، فأورد الرسول الكريم خُطبة من خطبه، مهّد لها بقوله: "كأني به على جَمَل أحمر بعُكَاظ قائماً يقول..."، واختتمها بأبيات له من الشّعر أنشدها أبو بكر الصّديق تنطق بحتميّة الموت والمصير[1]، ومن مطوّلات الأمثال التاريخيّة، المثل: "أَبْخَلُ مِنْ مادِر[2]" (568)، ولعلّ قصّته التاريخيّة أطول الأمثال وأكثرها تفصيلا.

يتبيّن ممّا سبق استعانة المصنِّف بالأحداث التاريخيّة في بيان بعض أمثاله وتوضيحها، واستخدام الأسلوب القصصي في بعضها الآخر. وكلا الأسلوبين يشدُّ القارئ ويشوقه إلى متابعة القراءة، وتقصّي حقائق المثل وما وراءه من معانٍ ومعلومات، ودرج المصنِّف في كثير من الأمثال على استخدام الأسلوب السردي، ونعني به ذكْر المثل مُجرّدًا من أيٍّ شرحٍ، أو ملحقًا بالنّزر اليسير منها.

---

(1) مجمع الأمثال 111:1.

(2) انظر المرجع والصفحة نفسها.

ومن المفيد الإشارة إلى التقارب النسبي بين الأمثال التي وردت من مصادر أخرى غير مستمدة من القرآن الكريم، أو الحديث النبوي الشريف، أو من الشعر، أو من أقوال الصحابة، وبين الأمثال التي عالجت الموضوعات الاجتماعيّة، ليظهر لنا بوضوحٍ أنهما قد عكسا واقع الشارع الحياتي للناس، والعلاقات الإنسانيّة الدارجة بينهم، أمّا أمثال المولدين فقد وردت خِلْوًا من أيٍّ شرحٍ أو تحقيق أو تعليق[1]، فقد أوردها المصنّف (في باب الباء وفي كل أبواب الكتاب) دون نسبة لقائل أو توضيح، وتجلّى التعليق اليسير على بعض الأمثال، في الغالب على الأمثال التي جاءت على وزن أفعل (في هذا الباب وسائر الأبواب).

(1) انظر مجمع الأمثال 1: 166 -167.

جدول رقم (3)

يبين الأنماط اللغويّة للأمثال

النمط اللغوي	العدد
أسلوب الأمر	4
أسلوب النفي	4
أسلوب الذم	4
أسلوب التصغير	2
أسلوب التفضيل	45
أسلوب الاستفهام	1
الجملة الفعلية	41
الجملة الاسمية	79

(ج) يلاحظ في هذا الجدول، أنَّ الأمثال التي ضُمّنت أنماط النهي والنفي والذم والتصغير والاستفهام قليلة، إذا ما قيست بالأمثال التي تعالج أنماط التفضيل، أو التي وردت مبدوءة بالجملة الاسمية أو الفعلية،

ولعل مردّ ذلك في نظر الباحث إلى أنَّ التركيز في أمثال المجمع بصفتها العامّة وقع على مضامينها ومعانيها ، ولم يكن هدف المُصنِّف فيها جمع الأمثال ذات الأنماط اللغويّة المتعددة، ولا يمنع ذلك من وجود الأنماط اللغوية المتعددة في الأمثال بصفتها العامّة.

فمن الأمثال التي عالجت نمط النفي، ما جاء في المثل: "بايعْ بِعِزٍّ وَجْهُهُ مُلَثَّمٌ[1]" (550)، والمُلَثَّم: المغطى باللثام. ويراد بالمثل: أي لا تَرْغَبْ في مُوَاصلة قوم لا قَديم لهم، فعزهم مستور، لا يعرف إلا في هذا الوقت، ومن الأمثال التي عالجت نمط النفي، ما جاء في المثل: "بَرِّقْ لِمَنْ لا يَعْرِفُكَ[2]" (434)، والتبريق: تحديدُ النظر. ويُراد بالمثل: هَدِّد مَنْ لا علم له بك، فإن من عرفك لا يعبأ بك، ومن الأمثال التي عالجت أسلوب الذم، ما جاء في المثل: "بِئْسَ السَّعَفُ أَنْتَ يَا فَتَى[3]" (545)، وسُعُوف البيت: القَصْعة والقِدْر، وهي من مُحَقَّرات متاع البيت. ويُراد بالمثل: بئس السلعة وبئس الخليط أنت.

---

(1) مجمع الأمثال 108:1.

(2) مجمع الأمثال 90:1.

(3) مجمع الأمثال 107:1.

ومن الأمثال التي عالجت أسلوب الذم "بَعْدَ الَّلتَيَّا وَالَّتِي[1]" (440)، ويُراد بالمثل: الداهية الكبيرة والصغيرة، وكَنَى عن الكبيرة بلفظ التصغير تشبيهاً بالحيَّة، فإنها إذا كثر سمها صغرت؛ لأن السم يأكل جَسَدها، وقيل: الأصل فيه أن رجلاً من جَدِيس تزوج امرأة قصيرة فقاسى منها الشدائد، وكان يعبر عنها بالتصغير، فتزوج امرأة طويلة فقاسى منها ضعف ما قاسى من الصغيرة ، فطلقها، وقال: بعد اللَّتَيَّا والَّتِي، لا أتزوج أبدا، فجرى ذلك على الداهية.

ومن الأمثال التي عالجت أسلوب التفضيل، ما جاء في المثل: "أَبْخَلُ مِنَ الضَّنِينِ بِنَائِلِ غَيْرِهِ[2]" (571)، وهو من قول الشاعر:

وإنَّ امْرَأً ضَنَّتْ يَدَاه على امرئ   بنَيْل يدٍ من غيره لَبَخِيلُ

ومن الأمثال التي عالجت أسلوب الاستفهام، ما جاء في المثل: "بَعْدَ خِيَرَتِها تَحْتَفِظُ؟[3]" (439)، ويُراد بالمثل: بعد إضاعة خِيار الإبل، تحتفظ بحواشيها وشرارها. ويضرب لمن يتعلق بقليل ماله بعد إضاعة أكثره، ومن الأمثال التي وردت في سياق الجملة الفعلية، ما جاء في المثل:

---

(1) مجمع الأمثال 1:92.

(2) مجمع الأمثال 1:114.

(3) مجمع الأمثال 1:92.

"بَاتَ فُلاَن يَشْوِي القَرَاحَ[1]" (557)، والقَرَاح: الماء. ويُراد بالمثل: من ساءت حالُه، ونَفِدَ مالُه، فصار يشوي الماء شهوة للطبيخ.

ومن الأمثال التي وردت في سياق الجملة الاسميّة، ما جاء في المثـل: "البَغْيُ آخِرُ مُـدَّة القَـوْمِ[2]" (555)، ويُـراد بالمثـل: أن الظلـم إذا امتـدَّ بوجود أهله ، فقد آذَنَ بانقراض مُدَّتهم، وبهذا نتبين الكـثير مـن الأنمـاط اللغويّة، والتراكيـب المثليـة، ومـن خلالهـا نلحـظ التنـوع بـين الأسـلوب الخبري والإنشائي في الاستفهام والأمر، وما بين طغيـان الجملـة الاسميـة على الجملة الفعلية، وسنجلي هذا البعد في الدراسة التحليلية المعقـودة في الفصل الثالث.

(1) مجمع الأمثال 109:1.

(2) مجمع الأمثال 109:1.

الفصل الرابع
دراسة تطبيقيّة

دراسة تطبيقية تحليلية لامثال عربية من كتاب مجمع الامثال

تمهيد

يتناول هذا الفصل الدراسة التحليلية للأمثال العربية التي تم اختيارها من كتاب مجمع الأمثال، وإذا كان مجمع الأمثال بحرًا يصعب خوض غماره ، فقد عَمدَ الباحثُ في اختيار هذه الأمثال إلى أن تكون هذه الأنماط الأكثر بروزًا في المجمع، فمنها ما أُخذ من القرآن الكريم، ومنها ما أُخذ من الحديث الشريف، ومنها ما كان مستقى من الشعر، ومنها ما وقع فيه أقوال مشهورة، ومنها ما جلّى الأساليب اللغويّة المتعددة ، بين الجملة الخبرية والإنشائيّة.

وقد رُوعي في اختيار هذه الأمثال أن تكون متنوعة المقاصد والدلالات، وأن تتضمن ضروبًا من الأساليب والتراكيب اللغوية، ونماذج من الألوان البيانيّة والبديعيّة، على أن يتجلى من خلالها الأبعاد اللغويّة والدلالية، التي احتكم إليها المثل، وسيجلّي تحليلها هذه المتطلبات جميعًا، حتّى نتبين موقع الأمثال العربية من فصاحة اللغة وبلاغتها، وإسهامها في إغناء الجوانب الجماليّة للّغة العربيّة.

وقد عمد منهج الاختيار أيضًا على إبراز عدد من الأنماط اللغوية الشائعة، والأقل شيوعًا، ونصبغها الصبغة التي يتضح من خلالها كم من الوعي الدلالي والاجتماعي والجمالي لهذه الأمثال، وما الأمور التي تستحضر لغويا ودلاليا واجتماعيا في الموقف الفكري عند تأملها.

وقد توقفت عند أمثال المولدين التي ألحقها المصنِّف في كل بابٍ من أبواب الحروف الهجائيّة، وآثرت الانصراف إلى الأمثال الأصيلة، اكتفاءً بما فيها من المظاهر اللغويّة، صنيع الميداني الذي أوردها دون أي شرح أو تعليق.

إن من البيان لسحرًا[1]:

يُضرب هذا المثل الحديثي في استحسان المنطق، وبُلْغة الحجة وقوتها.

وهذا المثل أصله من كلام النبي صلى الله عليه وسلم[2]. وقصة المثل يرويها الميداني بقوله: "حين وفد عليه عمرو بن الأهتم والزِّبْرقان بن بدر وقيس بن عاصم، فسأل النبي عليه الصلاة والسلام عمرو بن الأهتم عن الزِّبْرقان، فقال عمرو: مُطاع في أَدْنَيْه[3]، مانع لما وراء ظهره، فقال الزِّبْرقان: يا رسول الله إنه ليعلم مني أكثر من هذا، ولكنه حسدني، فقال عمرو: أما والله إنه لزَمِر المروءة[4]، ضيّق العطن[5]، أحمق الوالد، لئيم الخال، والله يا رسول الله ما كذبت في الأولى، ولقد صدقت في الأخرى. ولكني رجل رضيت فقلت أحسن ما علمت، وسخطت فقلت أقبح ما وجدت، فقال عليه الصلاة والسلام: إن من البيان لسحرًا[6]، إن الأهتم لمّا أراد مدح الزبرقان قال فيه أحسن القول ممّا علم عنه، ولمّا أراد ذمّه قال فيه أسوأ ماعلم عنه، ممّا دفع النبي صلى الله عليه وسلم إلى قوله: إن من البيان لسحرّا.

والبيان: الفصاحة واللّسَنُ. وفلان أبين من فلان، أي أفصح منه وأوضح كلامًا. وكلام فصيح أي بليغ، ولسان فَصِيح أي طَلْقٌ.

---

(1) مجمع الأمثال 7:1 رقم المثل (1)، جمهرة الأمثال 13:1، زهر الأكم 136:1، فصل المقال ص16، كتاب الأمثال ص37، المستقصى 414:1.

(2) الحديث في صحيح البخاري 1976:5. وهو برقم (4851) .

(3) الأدنون: جمع الأدنى بمعنى الأقرب.

(4) زَمِر المروءة : قليل المروءة.

(5) ضيّق العطن: قليل الصبر والحيلة عند الشدائد.

(6) مجمع الأمثال 7:1.

والفَصِيحُ في اللغة: المنطلق اللسان في القول، الـذي يَعْـرف جَيِّـدَ الكـلام من رديئه. والسحر: الأَخْذَةُ، وكل ما لطفَ مأخذه ودقَّ فهو سِحْرٌ. وقال الأَزهري: وأَصـل السِّحْرِ صَرْفُ الشيء عن حقيقته إلى غيره[1].

وكما جاء في الحديث إن قيس بن عاصم المِنْقَرِيَّ والزِّبْرِقانَ بنَ بَدْرٍ وعَمْرَو ابـنَ الأَهْتَمِ قدموا على النبي صلى الله عليه وسـلم، فسـأَل الـنبيُّ صلى الله عليه وسلم عَمْراً عن الزِّبْرِقانِ، فـأَثنى عليـه خـيراً، فلـم يـرض الزبرقانُ بذلك، وقال: والله يا رسول الله إنه ليعلم أَنني أَفضـل ممـا قـال، ولكنه حَسَدَ مكاني منك.

فَأَثْنى عليه عَمـْرٌو خيرًا ثم قال: والله ما كذبت عليـه في الأُولى ولا في الآخرة، ولكنه أَرضاني فقلتُ بالرِّضا ثـم أَسْـخَطَني فقلـتُ بالسَّـخْطِ. فقال رسول الله صلى الله عليه وسـلم: إن مـن البيـان لَسِـحْراً. قـال أَبـو عبيد: كأَنَّ المعنـى-والله أَعلـم- أَنـه يَبْلُـغُ مـن ثنائـه أَنـه يَمْـدَحُ الإِنسـانَ فَيَصْدُقُ فيه حتـى يَصْرِفَ القلوبَ إِلى قوله، ثم يَذُمُّهُ فَيَصْـدُق فيـه حتـى يَصْرِفَ القلوبَ إلى قوله الآخر، فكأَنه قد سَحَرَ السامعين بذلك.

---

(1) انظر (فصح، سحر) في اللسان والقاموس والصحاح.

وقال ابن الأَثير: إِن من البيان لسحراً، أَي منه ما يصرف قلوب السامعين وإِن كان غير حق، وقيل: معناه إِن من البيان ما يُكْسِبُ من الإِثم ما يكتسبه الساحر بسحره، فيكون في معرض الذمّ. ويجوز أَن يكون في معرض المدح؛ لأَنه تُسْتَمالُ به القلوبُ ويَرْضَى به الساخطُ ويُسْتَنْزَلُ به الصَّعْبُ(1).

ويظهر أن المثل الحديثي السابق يوضّح ضربا من ضروب اللسان الذي يكون فيه الإنسان ألحن من غيره في بيان حجته ومراده ، فقد يقلب جمال الكلام ودقته توجيه العبارة ، حتى يغدو المنطق أبلغ في الحجة والمأخذ.

وعند النظر في هذا المثل فإننا نذكر حديثه صلى الله عليه وسلم عن ابن عمر قال: اختصم رجلان إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "إنما أنا بشر أقضي بينكم بما أسمع منكم ، ولعل أحدكم أن يكون ألحن بحجته من أخيه ، فمن قضيت له من حق أخيه شيئا، فإنما أقطع له قطعة من النار"(2).

بيّن عليه الصلاة والسلام ما لأمر البلاغة من تغيير منطق الحديث وقلبه، وما له من أناقة في الكلام حتى يستطيع تغيير الحقائق.

(1) ينظر لسان العرب (سحر).

(2) مجمع الزوائد 358:4.

ويظهر أن السحر يحمل معنى آخر هو: الدّقة، ويظهر ذلك من خلال الربط بين المعنيين اللغوي الذي ورد في المعجم، والمعنى الدلالي الذي ورد في نص المثل، أن دقة الكلام فيه دليل على استحسان منطق المُتكلّم، وما ورد لديه من الحجة لإقناع الخصم.

وأمّا الصورة المتمثلة في نص المثل فيمكن إبرازها من خلال النظر إلى عمل السحر في النفس، وعمل الكلام الذي شابه السحر، فقد ظهر الكلام في صورة أنيقة لسرعة قبوله، ولمدى تأثيره في السامع، ولا يخفى أثر السحر في ذلك من تأثيره في النفس الإنسانيّة، فكأن نص الكلام المسموع الذي شُبّه بالسحر طابق السحر في عمله من صرف وجه الحقيقة.

كما تتوالى المؤكدات التي تدل على تأكيد المعنى وبروزه، وتزيد من قوة اللفظ وتأثيره، مثل استعمال إن حرف التوكيد والنصب، واللام المزحلقة، والجملة الاسمية، ولا يخفى ما لدور الجملة الاسمية من الثبات والاستقرار.

ويقول ابن السّراج: "ولا يلي أنْ الخفيفة النّاصبة للفعل إلا الفعل، و(أنَّ) الشديدة ليست كذلك؛ لأنّه لا يليها إلا الاسم، وهي بعده للتأكيد[1]".

---

(1) الأصول في النحو 266:1.

" واللام تؤكّدُ من الجملة الجزء الذي تلتصق به، فاللام في الخبر تؤكّدُ الخبر، كما أنَّ (إنَّ) تؤكّد الجملة بكاملها[1] ". وفي هذا تأكيد لخبر محمد عليه السّلام الوارد في المثل، من أنَّ البيان سحرٌ؛ لأنّه خرج عن مضمون الحقيقة الواردة فيه إلى مضمون آخر، وهو قلب الحقائق لِمستعمل البيان، حيث أراده ذريعة ليصل إلى ما أراد من سبك الحقيقة كما يريد.

ولتعميق تلك الصورة وجب الوقوف على حرف النون صوتيا، فهو من الأصوات الواضحة سماعيا، ومن صفاته الجهر والغنّة، ولا يخفى ما لأمر الغنة من الجمال والامتداد الصوتي. وقد أحدث هذا الصوت شيئا من التجاوب الصوتي الوارد في المثل، لأن النون جاءت خاتمة صوتية لكل كلمة من كلمات المثل.

واللام المزحلقة أعطت تأكيدًا نحويا، وبعدًا صوتيا جميلا، فصل بين البيان والسحر، وأن البيان سيبقى ساحرًا للآذان ولب القلوب، وقد ظهر أيضًا في المثل السابق أسلوب التقديم والتأخير، فقد أُخر اسم إنَّ لأنه نكرة ، وتقدم عليه الخبر وهو شبه جملة.

" ويُسمي سيبويه الجار والمجرور والظرف إذا كان خبرًا للمبتدأ (المستقر)، فإذا نُزع عنه الصفة الإسناديّة، فإنها تصبح غير مستقرّةٍ، ولذا يحسُن تأخيرها[2] "، أمّا دلالة الاستقرار في الجملة الاسميّة وثباتها؛ فلأنّها خبر مطلق، وقد خرج الخبر عن مقتضاه ليفيد معنى التحذير، وفي دخول اللام على خبر إنَّ لفتة لغويّة أُخرى، ويتمثّل ذلك

(1) في التحليل اللغوي ص242.

(2) الصراع بين التراكيب النّحويّة ص21.

في وقوع الفصل بينها وبين اسمها، وفي ذلك يقول الشّامي: "تدخل اللام في خبرها، أو ما جرى مجراه دون سائر أخواتها سوى لكنَّ، وفي اسمها بشرط الفصل، نحو: إنَّ في ذلك لعظة[1]"، وبهذا فقد طابق المثل في بنيته التركيبيّة سنن العربيّة وقوانينها.

---

(1) معجم حروف المعاني ص204.

إنَّ الذليلَ الذي ليْستْ لَه عضد[1]:

هذا المثل يُضرب للشخص الذي يخذله أعوانه وأنصاره وقت الحاجة إليهم، والعَضُد: مؤنّثةٌ لا غيرُ، وهما العَضُدانِ، وجمعها: أَعضادٌ لا يُكسَّر على غير ذلك، والعَضُد من الإنسان وغيره: الساعِدُ وهو ما بَيْنَ المِرْفَقِ إلى الكَتِفِ[2]، وقد ورد هذا الاستعمال في القرآن الكريم من قوله تعالى: "مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا"[3]. قال الشوكاني: "وذكر العضد على جهة المثل، وخص المضلين بالذكر لزيادة الذم والتوبيخ، والمعنى: ما استعنت على خلق السموات والأرض بهم، ولا شاورتهم، وما كنت متخذ الشياطين أو الكافرين أعوانا، ووحّد العضد لموافقة الفواصل[4]".

ويوضح المثل السابق حال الإنسان الذي تركه ناصروه وقت الضيق والحاجة إليهم، فكأنه شابه حال الذليل عندما بقي منفردًا وقت الحاجة للمعونة، لأنه لم يجد من يعينه على قضاء أمره. ويظهر من خلال نص المثل السابق أن لفظة العضد استعملت على التأنيث، وقد وقع استعمالها على التذكير من قولهم العَضَد بفتح العين والضاد فكلٌّ يُذكَّر ويُؤنَّث، وبهذا يظهر أنها تستعمل في الحالتين على التذكير والتأنيث، مع اختلاف الضبط.

---

(1) مجمع الأمثال21:1 (54) ، المستقصى في أمثال العرب 404:1.

(2) انظر تاج العروس (عضد).

(3) الكهف:51 .

(4) فتح القدير 418:3.

وقد جمع هذا المثل بين التوكيد والنفي، فيؤكد المثل نفي وجود الأنصار وقت الشدّة، ممّا يُوقع الإنسان في حالة أقرب إلى حالة الذلة والهوان، وقد أبْدع المثل في استدعاء الصورة المتمثلة في انصراف الأعوان وقت الحاجة، وبهذا فقد شابه حال المنفرد عن أعوانه وقت الشدة، حال الذليل الذي لا يجد من ينصره في ذلك الوقت.

فتصوير حال الوحدة فيه من البيان ما فيه؛ لأنه طابق الحالة التي تحدث عنها المثل بالموقف الحسي للشخص المخذول، وفي استعمال لفظة العضد وما لها من دلالة في سياق الكلام ضرب من ضروب البيان في التصوير، فلو خُيِّل للناظر في هذا المثل منزلة الساعد دون العضد، فسيجد هذه المنزلة كمنزلة من يجد في يده قَبْض الريح، فصاحب العضد دون الساعد لا يجد في يده شيئًا يستعين فيه وقت الحاجة، وقابض الريح لا يجد شيئًا في يده، وهذه حال المخذول لا يجد ناصرًا يعينه وقت الحاجة.

وقد ورد في المثل أسلوب التقديم والتأخير فقد أُخر اسم ليس (عضد) عن خبرها، وتقدمه خبرها شبه الجملة (له)، ولعل في ذلك بيان الأهميّة وموضع الاهتمام في المعنى، بما عاد عليه الضمير المتصل في قوله (له) دون النظر إلى (العضد) وما لها من الأهمية في الساعد؛ لأن محط النظر على تصوير واقع الحالة التي تخلى فيها الناصرون عن العون، فكان الاهتمام بالنظر إلى المخذول دون النظر إلى الأعوان.

"وقد أُلحقت ليس بالأفعال الناقصة اعتمادًا على أداة شكليّة، وهي البناء على الفتح، والعلاقات التركيبيّة التي تنتج عن دخولها على الجملة

الاسميّة، فهي شبيهة بكان في هذا الخصوص[1]". وبهذا يظهر الأثر التركيبيّ لدخول (ليس) على المثل، حيث غيّر في البنية التركيبيّة له، فقد عُدّت (عضد) اسم ليس، وعُدّت شبه الجملة (له) خبرًا لها. ولا يخفى الأثر التحويلي لها.

وذكر ابن السّراج في أُصوله: "وما جاز أن يكون خبرًا، فالقياس لا يمنع من تقديمه، إذ كانت الأخبار تُقدَّم إلا أنّي لا أعلمه مسموعًا من العرب، ولا يتقدم خبر ليس قبلها[2]".

وفي هذا يشير ابن السراج إلى مذهب الكوفيين، فهم لا يجيزون تقديم خبر ليس عليها، بينما يذهب البصريون إلى جواز تقديم خبر ليس عليها. ولا يمنع مانع من ذلك؛ لأنَّ اللغة قد يوجد فيها مثل هذه الأنماط الاستعماليّة، وفي دخول ليس على الجملة الاسميّة نقلها من معنى الإثبات إلى معنى النفي، وقد وقع ذلك بزيادة عنصر النفي (ليس)، وذلك الاستدلال يوضح انتفاء الملزوم، وهو النصرة وقت الحاجة، المساوي لانتفاء اللازم من وجود الناصرين، ومن الأساليب البيانية التي تطالعنا في هذا المثل صورة المجاز المرسل الذي تعلق فيه السبب بالمسبب.

وقد أورد الزمخشري قوله: "ومن المجاز: "قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ"[3] وهو عضد وهم أعضادي[4] والمعنى الذي رمى إليه

(1) الصراع بين التراكيب النحويّة ص35.

(2) الأصول في النحو1: 89-90.

(3) انظر في التحليل اللغوي ص 156 – 157.

(4) القصص 35.

الزمخشري سنقويك ونعينك بأخيك، فقد وردت على سبيل التمثيل بالاستعانة والقوة.

"الحقيقة هي استعمال الكلمة فيما وُضعت له، أي استعمال اللفظ في معناه الذي وضع له. وأمّا المجاز فهو الكلمة المستعملة في غير ما وُضع له مع قرينة مانعة. أي استعمال اللفظ في غير المعنى الموضوع له، مع قرينة تمنع من إرادة المعنى الأصلي[1]". وفي هذا إشارة إلى نقل الغَلبةِ عن الشخص المخذول، وقد أفاد المثل ذلك، وبهذا قد نقل المعنى الحقيقي المتبادر إلى الذهن، وأفاد معنى مجازيًّا، وهو خذلان النّاصر له وقت الحاجة.

(1) أساس البلاغة (عضد).

بعضُ القتلِ إحياءٌ للجميعِ[1]:

هذا المثل يُضرب لبيان فائدة القصاص في المجتمع الإسلامي، وما يؤديه القصاصُ من هبة الحياة للمجتمع كلِّهِ. ويبيِّن المثل السابق الحكمة المقصودة للشارع في تحريم القتل دون سبب أو غرض مشروع، فقد علم الناس كما هو المشهور عندهم، أنَّ القتل إنّما يكون لأغراض شرعها الله تعالى، تحقيقًا لغايات وأهداف أرادها في المجتمع لإشاعة الاستقرار فيه، ومن هذه الأغراض قتل نفس القاتل المتعمّد بالنفس التي قتلها زورًا وعُدْوانًا، وعليه قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى[2].

وقد ورد في الحديث الشريف قوله صلى الله عليه وسلم: "المسلمون تتكافأ دماؤهم"[3]. فقد بيّن صلى الله عليه وسلم حرمة دم المسلم المعصوم، وأن دماء المسلمين واحدة في تساويها، ولا يجوز الاعتداء عليها.

فلّما كان القتل دونما سببٍ أو غرض، استحق القاتل المُفسد للقانون الإلهي عقوبة القتل بلا رجعة في ذلك، لما فيه من خرق السنن الإلهيّة التي من شأنها إشاعة السكينة والاستقرار في المجتمع كله؛ ولأنه هدّد أمن الأبرياء من الناس، فكانت العقوبة مشاكلة لحجم المخالفة التي اقترفها القاتل.

---

(1) الدلالة اللغويّة عند العرب ص84.

(2) البقرة 178.

(3) انظر سنن أبي داود 2:89 برقم (2751) .

وإذا ما عمّق الناظر البحث والتمحيص في قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَى بِالأُنثَى " علم أن حياة الإنسان مصونة من العبث والابتذال سواء أكان رجلًا أم امرأة، حُرًّا أم عبدًا. فقد سوّى الله تعالى بين حياة العبيد وغيرهم من الأحرار، وحياة النساء وغيرهم من الرجال، فلا فرق يقع في هذا كله؛ لأن الغرض أسمى من النظر إلى خصوص الناس وأعيانهم، وناسب ختام الآية ما سبقها جاء منها قوله: "فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ" فالعذاب الأليم الرادع إنما يقع على المُخالف، عظُمت مكانته أو حقُرت وصغُرت، وناسبت العقوبة موضع المخالفة بوسم العذاب بالعذاب الأليم.

ويطابق مثل: (بعْضُ القتلِ إحياءٌ للجميعِ) المثل القائل: (القتل أنفى للقتل)، وعليه قوله تعالى: "وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاْ أُولِيْ الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ"[1] .

فقد خاطب الله تعالى أصحاب اللُّب المستنير، فبيّن ما لأثر القصاص في المجتمع من هبة الحياة للمجتمع، وعمد لاستعمال التركيب اللفظي: يا أولي الألباب، لعظم الأمر الواقع من خطورة القتل وفساده، فلم يُخاطب العامة، وإنما خاطب لب العقل الذي حواه اللبيب الخالص العقل والحكمة والتفكّر، دون غيره من الناس.

وعند النظر إلى الفرق بين المثل العربي (القتل أنفى للقتل) والآية الكريمة: "وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ" نرى فروقا عدة بيّنها صاحب كتاب

(1) إعراب القرآن الكريم وبيانه 2 :229 .

إعراب القرآن وبيانه، حيث قال: "فقد كان العرب يتباهون بقولهم: القتل أنفى للقتل. فجاءت آية القرآن وهي: "وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ" أكثر إيجازًا، وأرشق تعبيرًا، لأنها أربع كلماتٍ وهي: "في، ال، قصاص، حياة" وقول العرب ست وهي: ال، قتل، أنفى، وضميره لأنه اسم مشتق، اللام، قتل. ولأن حروفها الملفوظة الثابتة وقفًا ووصلا أحد عشر حرفا وحروف قول العرب أربعة عشر حرفا".

ويظهر في المثل العربي (بعْضُ القتلِ إحياءٌ للجميعِ) عدة جوانب لغوية وبيانية، منها المبتدأ المضاف الواقع في كلمة بعض. ولعلّ المراد من هذا التبعيض أنَّ عقوبة القتل تقع على القاتل فقط، وهم بطبيعة الحال بعض المجتمع لا كلّه، فبقتلهم يحيا المجتمع. ويظهر في هذا الموطن تنوين الضم، الذي ورد كوقفة جماليّة بعد حرفي صوتي طويل، ليؤكد أن الحياة حق للجميع بعد الفاصلة النغمية. ولعلّ ما يبدو متناقضًا في ظاهر المثل يثير الانتباه، فكيف يكون في قتْلِ البعض إحياءٌ للجميع؟ وهذا يجلّيه بوضوحٍ قوله تعالى: "وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ".

وعند النظر أيضًا في هذا المثل تظهر لفتة أخرى وهي لفظة (للجميع) ولا يخفى ما لها من دور في التعميم، فقد وقع التعميم ليدخل في مفهومه كل أفراد المجتمع الذين يحيون بتخليصهم من القتلة والمجرمين.

ويظهر أيضًا من خلال استعمال لفظة المعرفة (القتل) في المثل العربي (القتل أنفى للقتل) وتنكير لفظة (إحياء) في المثل العربي دلالة على عموم الحياة المرادة للجميع، وهي حياة عامة لا تدخل ضمن مفهوم محدد، بل هي هبة الله للناس جميعًا، وأمّا تعريف لفظة (القتل) فلأن القتل الذي تعارف عليه الناس واستفاض بينهم معروف معلوم، فهو لا يحتاج

إلـى تعريف؛ لأن العقلاء اتفقوا على معرفتـه، ومعرفـة ضـرره، ومعرفـة سوئه ، ومعرفة خطره، ومعرفة الحكمة من تعريفه، ومعرفة بالغ الخطر في انتشاره وتداوله بين الناس.

ويظهر في المثل السابق معنيان من معاني الدلالـة، أحـدهما أسـلوبي يحدد قيمًا تعبيريـة تخـص الثقافـة أو الاجتمـاع، والآخـر نفسـي يعكـس الدلالات النفسية للمـتكلم[1]، وهـذا مـا شـاع في المثـل السـابق، إذ عـدَّ العقل قتل القتلة إحياء للجميـع، وهـو ممّـا شـاع عنـد النّـاس عُرفًـا مـن وجوب قتل القاتل لغيره ظُلمًا وعُدوانًا.

"لقد أورد القرآن الكريم صيغة "دلّ" بمختلف مشتقاتها في مواضـع سبعة تشترك في إبراز الإطار اللغوي المفهومي لهـذه الصـيغة، وهـي تعـني الإشارة إلى الشيء أو الذات سواء أكـان ذلـك تجريـداً أم حسـاً ويترتـب على ذلك وجود طرفين: طرف دال وطرف مدلول[2]".

وهذا ما حققه المصدر المستعمل في المثل (إحياء)، ومعلوم أنَّ الإحياءَ هو مصدر للفعل المتعدي أحيا، ولا يخفى أنَّ الإحياءَ لأبـدَّ وأنْ يقـع بعـد وجود القتْلِ بقتـل القاتـل المتعمـد القتـل، وإذا مـا نظـر المـتفحص المثـل (بعْضُ القتلِ إحياءٌ للجميعِ) ظهـر عنـده بـوضوح وجـود الاختصـاص لقتـل جميـع القـاتلين دون النظـر إلى أعيـانهم، أو رتـبهم، أو أجناسـهم، واختصاص الحياة للناس كلهم، وذلك من خـلال سـياق الـلام الداخلـة على كلمة الجميع .

(1) انظر علـم الدلالـة أصوله ومباحثه في التراث العربي ص95.

(2) علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي ص24.

يضاف إلى ذلك أن قتل بعض الناس (القاتل) فيه إحياء لبقية الناس، وذلك عند تطبيق القصاص على القاتل، فتتحقق الحياة للناس جميعًا، ممّا يدفع الناس إلى عدم التفكير في عادة الثأر المذمومة، وإن ظهر المتضادان (القتل والحياة)، فذلك لجامع الاشتراك بينهما من تحقيق الحياة للنّاس من خلال قتل القاتل، فلم يعد هناك تضاد بل ترابط وتماسك من خلال تحقيق عادة سلوكيّة في المجتمع، وهي الحفاظ على الحياة للناس كافة، وفيه تصويب لعادة جاهليّة وهي الثأر، جاءت القاعدة السلوكيّة التربويّة في تحقيق القصاص ومنع القتل لتصحيح العادة الجاهليّة التي تقوم على الثأر وإثارة البغضاء في المجتمع المؤمن.

وفي هذا المثل استعمل الطباق الوارد فيه في (القتل، والإحياء)، وفي هذا يظهر الفرق بين المتضادين الموت والحياة، فلا تدخل الحياة في مفهوم الموت، ولا يدخل الموت في مفهوم الحياة، وسياق المخالفة بين الأضداد يُظهر الفرق بين المفهومين.

بِسِلاحٍ مَّا يُقْتَلنَّ القتيلُ[1]:

هذا المثل أصله من "قول عمرو بن هند حين بلغه قتل عمرو بن مامة، فغزا مُرادًا وهم قَتَلَة عمرو، فظفر بهم، وقتل منهم فأكثر، فأتى بابن الجعيد سلمًا، فلمّا رآه أمر به، فضُرب بالغمد، حتى مات، فقال عمرو: بِسِلاحٍ مَّا يُقْتَلنَّ القتيلُ، فأرسلها مثلا. وهذا المثل يُضرب في مكافأة الشر بالشر"[2].

وتخريج المعنى يحتمل أكثر من وجه: أحدهما أنَّ أصل العبارة: بسلاحٍ ما يقتلنَّ قاتل القتيل، ففيها حذف. والآخر أنّه يُقتل من يَقتل بأي سلاحٍ كان، والثالث أنّه أراد القتيل الذي قُتل بين يديه وهو ابن الجعيد، وهذا يوضح أن القاتل لا بد وأن يُقتل بسلاح ما، فلا بد من أن ينال أهل القتيل من القاتل بقتله، حيث أوقع القاتل نفسه في الهلاك؛ لأن القتيل لا يُترك دمه، وبهذا فلا بدَّ وأن يُجازى القاتل بالقتل مثل فعلته.

وقد استعمل في المثل السابق بعض اللفتات اللغوية المتمثلة باستعمال (ما) التي وقعت في هذا المثل نكرة تامة مبهمة، لتبيّن أنَّ القاتل لا تُتْرك فعلته دون النيْل منه، فإمّا أن يقتل بسلاح معروف، وإمّا أن يُقتل بسلاح مجهول، وخلاصة القول أن القتل واقع على القاتل لا محالة، وإنما وقع ذلك بالتنكير دون التعريف لأنّ آلة القتل تُرهب الإنسان وتحيله إلى معرفة الحقيقة التي يؤول إليها جرّاء فعلته النكراء.

---

(1) مجمع الأمثال1:102، (503)، المستقصى في أمثال العرب 2:90 ، أمثال العرب ص151، كتاب الأمثال 316.

(2) مجمع الأمثال1:102.

وربّما صوّرت (ما) الواردة في المثل الحالة النفسيّة للقاتل، فهو يتوقع قتله على يد شخص مجهول بالنسبة له، ممّا زاد عنده الرعب في الحالة التي يعيشها وهو ينتظر قدره، وإذا ما كان الأمر معلوما عنده، فلا بُدّ له من العيش في مرحلة الخوف والانتظار في شَرَك المجهول الذي يحوفه وقْع الخطر، وقد ظهر الجانب الصوتي في الألف الامتدادية في كلمة (ما)، فأعطت بعدا انفتاحيا للذاكرة والمخيلة؛ لترسم صورا متنوعة لنوع السلاح الذي يمكن أن يكون قد استخدم للقتل، وقد استعمل المثل السابق أيضًا نون التوكيد لتأكيد مبْلغ الأسى الذي يعيش فيه القاتل فلا بد من وقوع القتل عليه آجلا أو عاجلا، فالغرض من التأكيد تقرير قتْل القاتل ولو بعد حين. ويظهر بوضوحٍ استعمال الجملة الفعلية دلالة على ما سيؤول إليه أمر القاتل في المستقبل؛ ولذا ناسب استعمال المضارع المقرون بالتوكيد؛ لما فيه من دلالة يقينية على قتل القاتل، "ولا يؤكد بها إلا الفعل المستقبل، الذي فيه معنى الطلب، وذلك ما كان قسمًا، أو أمرًا، أو نهيًا، أو استفهامًا، أو عَرْضًا، أو تمنّيًا[1]".

وهذا المقام ناسب استعمال الفعل المضارع المقرون بنون التوكيد أيضًا؛ لأنّه دلَّ على حقيقةٍ مؤكدة واقعة، ألا وهي قتل القاتل جرّاء فعلته من قتل الآخرين، وإن لم تكن من سياق المقامات السابقة التي عدَّها الزمخشري، ولكنّها تنزل منزلة الوقوع؛ وذلك لدلالة السياق التركيبي عليها.

(1) المفصّل في صنعة الإعراب ص431.

وقد وقع الفعل (يقتلنَّ) مبنيا للمفعول؛ لأن الذي أراد الانتقام من القاتل غير معروف، وعند النظر في الفعل ذاته (يقتلنَّ)، ويرى الباحث أن تقْدِمة شبه الجملة دلالة على سدّ مسد المفعول به، وما لها من أهمية في التقديم لأهمية التركيز على القتل دون العفو، وتقديم السلاح في هذا الموطن له أثر في تقديم الموت على الحياة التي استحق القاتل سلبها منه بما فعل من القتل، وقد تمّ تقديم شبه الجملة بلفظة السلاح؛ لبيان تقديم القصاص على العفو عنه، وتقرير النتيجة المسبقة المقرونة بالتوكيد، وإذا ما وقف الناظر على حرف القاف الوقفي، وجد فيه القوة والشدة بفكرة قاتل القتيل.

ثَقيسُ الملائكةَ إلى الحَدّادين[1]:

" قال المفضل: يُقال إن أصل هذا المثل أنه لمّا نزلت هذه الآية: "عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ "[2]، قال رجل من كفار مكة من قريش من بني جُمَحُ، يُكنَى أبا الأشدّين: أنا أكفيكم سبعة عشر، واكفوني اثنين، فقال رجل سمع كلامه: ثَقيسُ الملائكةَ إلى الحَدّادين[3] " . والحدُّ: المنع والسجن، والحدادون: السّجانون، ويُقال لكل مانع: حدّاد.

وهذا المثل يُضرب للشخص الذي يقارن الأدنى منزلة في القوة بالأعلى منزلة، وعند العودة إلى تفسير الآية "لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ، عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ" وُجِدَ أنّها قُرئت لواحةً، بالنصب على الاختصاص للتهويل، أي بمعنى أخُص، وبهذا فقد عظَّم الله سبحانه وتعالى من شأن النار، فكيف بأصحابها الغلاظ الشداد؟ وقال صاحب الكشاف: "أي يلي أمرها ويتسلط على أهلها تسعة عشر ملكا، وقيل: صنفا من الملائكة، وقيل: صفًّا، وقيل نقيبا. وقرئ: تسعة أعْشَر، جمع عشير مثل: يمين وأيمن، جعلهم ملائكة، لأنهم خلاف جنس المعذبين من الجن والإنس، فلا يأخذهم ما يأخذ المجانس من الرأفة والرقة، ولا يستروحون إليهم، ولأنهم أقوم من خلق الله بحق الله وبالغضب له، فتؤمن هوادتهم، ولأنهم أشد الخلق بأسا وأقواهم بطشا[4] " .

---

(1) مجمع الأمثال 136:1، جمهرة الأمثال 268:1، الفاخر ص112، اللسان (حدد).

(2) المدثر:30.

(3) مجمع الأمثال 136:1.

(4) الكشاف 638:4.

وينقل صاحب الكشاف قوله: "وروي أنه لما نزلت "عليها تسعة عشر " قال أبو جهل لقريش: ثكلتكم أمهاتكم، أسمع ابن أبي كبشة يخبركم أن خزنة النار تسعة عشر، وأنتم الدهم، أيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل منهم؟ فقال أبو الأشد ابن أسيد بن كلدة الجمحي، وكان شديد البطش: أنا أكفيكم سبعة عشر فاكفوني أنتم اثنين، فأنزل الله "وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلا ملائِكَةً"[1]. أي ما جعلناهم رجالا من جنسكم يطاقون[2]".

ويقول القرطبي في تفسير الآية: "أي على سقر تسعة عشر من الملائكة يلقون فيها أهلها، ثم قيل: على جملة النار تسعة عشر من الملائكة هم خزنتها، مالك وثمانية عشر ملكا. ويحتمل أن تكون التسعة عشر نقيبا، ويحتمل أن يكون تسعة عشر ملكا بأعيانهم، وعلى هذا أكثر المفسرين. ويقول الثعالبي: ولا ينكر هذا.

فإذا كان ملك واحد يقبض أرواح جميع الخلائق، كان أحرى أن يكون تسعة عشر على عذاب بعض الخلائق، وقال ابن جريج: نعت النبي صلى الله عليه وسلم خزنة جهنم، فقال: (فكأن أعينهم البرق، وكأن أفواههم الصياصي، يجرون أشعارهم ،لأحدهم من القوة مثل قوة الثقلين، يسوق أحدهم الأمة وعلى رقبته جبل فيرميهم في النار ويرمي فوقهم الجبل)[3]".

---

(1) المدثر 31.

(2) الكشاف 638:4.

(3) القرطبي 384:22. والصياصي: الرماحَ التي تُشرّع في الفتنة ،وما يشبهها من سائر السلاح بقرون بقر مجتمعة.

ومن خلال العرض السابق للنصوص المختارة من كتب التفسير، نلحظ أن الملائكة المقصودين يتمتعون بالقوة البالغة والبأس الشديد، وما صاحب وصفهم من التهويل والتعظيم، وما صاحب النار في الصفة مما وُصفت به في قوله تعالى: "سَأُصْلِيهِ سَقَرَ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ، لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ، لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ[1]".

وفي هذا إشارة بارزة إلى عمق المأساة التي وقع فيها من دخل في خضم المغضوب عليهم ممن سيلج النار، ليكون مصيره العذاب على أيدي هؤلاء الملائكة الشداد الزبانية.

وقد حملت عبارة المثل السابق معنى التعجُّب، قياسًا على ما ذكره الهاشمي من قوله: "التعجب إذا كان الحكم غريبًا، نحو: علي يقاوم الأسد في جواب من قال: هل علي يقاوم الأسد ؟[2]".

وأمّا الناحية البيانية فقد ظهرت في المفارقة في القياس والمقابلة بين الضدين، والضدان اللذان تمثلا من خلال المثل هما الملائكة الشداد، والرجل الذي أراد أن يكفي قريشًا أمر الملائكة ، فكأن المُتمثِّل بالمثل يعقد المفاضلة التي لا تقع أبدًا، فكأن كلامه على محمل المقارنة المضمخة بالاستفهام، وكأنه قال له: كيف تقايس الملائكة بالحدادين؟ فشتان ما بينهما، فمهما بلغت قوة الإنسان، فلا يستطع أن يقارع بها قوة الملائكة، وفي هذا دليل لشدة تمكّن الكفر في قلوب المشركين، وبالغ الحقد الدفين عندهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحرب الإسلام والمسلمين.

---

(1) المدثر 26-29.

(2) جواهر البلاغة ص91.

ومن اللفتات الصرفية التي تُطالعنا في هذا المثل صيغة المبالغة المتمثلة في لفظة الحدادين، فلمّا احتاج الأمر للمبالغة في القوة اختار لفظة الحدادين من جانب، واختار صيغة المبالغة فيها من جانب آخر ؛ لأن المقارنة والمبالغة في استعمال القوة لابد وأن تقع من مثلها، ولكن هيهات، لفرق قوّة الملائكة عن القوة البشرية.

وقد حمل المثل السابق أيضًا أسلوب استفهام يُفهم من سياق المثل، فكأن القائل استخدم الاستفهام الضمني بقوله: أتقيس ملائكة الله إلى الحدادين؟، وفي استخدام مثل هذا الاستفهام بالغ الاستنكار والتعجب لمن أراد المقارنة، أو فكر في المقايسة، فهم أرادوا القياس، وأنّى لهم ذلك؟

ومثل هذا النمط من الاستفهام، يسمى الاستفهام غير المباشر، وهو تعبير المتكلّم عن معنى الاستفهام بغير استعمال أداة من أدوات الاستفهام(1). ومن تتبع النمط الاستعمالي السابق، فهم منه ضمنًا أنَّ المشركين يعلمون القوة المطلقة للملائكة، وأنَّ رسالة محمد عليه السلام، إنما هي من لدن القوي العظيم، ولكنَّهم يستكبرون.

(1) انظر في التحليل اللغوي ص152.

ثَكِلتك أُمك أيَ جرْدٍ ترقعُ[1]؟

يعـود هـذا المثـل في أصـله إلى الشـعر فهـو شـطر مـن أوزان البحـر الكامل، استعين به ليضرب به المثل فيمن طلب النفع والخير، ممّـا لا خـير ولا نفع فيه، والجَرْدُ: الثوب الخَلَق. والمثل يضرب لمن يطلب ما لا نفع له فيه. وكأنه يصور حال الشخص الذي يريد طلب شـيء لا خـير لـه فيـه، بحال الشخص الذي يحاول أن يرقع الثوب الخَلَق البالي القديم، فكلاهما لا يجد حاجته فيما يطلب.

وفي المثل صورة فنيـة في قولـه: أي جـرد ترقـع؟ حيـث شـبه صـورة الرجل الذي يطلب أمرًا لا خير له فيه، بصـورة الشـخص الـذي يطلـب الخير من الثوب البالي الذي لا يصلح حاله بالرقع.

وقـد تضـمن المثـل أسلـوب الاسـتفهام الواقـع باسـتخدام اسـم الاستفهـام: أي، "والـذي نـراه أنَّ (أي) اسـتفهام، يُقصـد بـه التحديـد والتخصيص، والاختيار بين الفريقين، ولا دور لها في الجملـة إلا أن تقـوم بنقلها من معنى الإخبار إلى معنى الاستفهام[2]". وهـذا المعنى قد تضمنه المثل، فقد جرى فيه الاستفهام الإنكاري لتحديد أيّ ثوبٍ ، وإذ به ثـوب خَلق بال، وهل يصلح مثل هـذا الثـوب للرقـع؟ وأمّـا التخصـيص فقـد جرى عليه أيضًا؛ لأنّه خصّه بالثوب القديم البالي.

"ويُعد الاستفهام من الأساليب اللغويّة المتميزة التي تدخل في نطـاق الدرس الأسلوبي، وهو من التراكيب التي تحمل في ذاتها إمكانيّة الاتّصال

---

(1) مجمع الأمثال 155:1(791).

(2) في التحليل اللغوي ص 136.

بين المُرسل والمتلقي؛ لما ينطوي عليه من مضمون وجداني نفسي، ولما يتيحه من وسائل تأثيريّة تفعل فعلها عند المتلقي، فهو يُمارس إثارة الدهشة الناجمة عن قطْع رتابة التّلقي[1]".

وهذا ما تضمنه الاستفهام السابق، حيث أثار الدهشة عند المُشاهد، وذلك لمن طلب النفع ممّا لا خير له فيه، ممّا دفعه لتحويل السياق إلى سياق إثارة.

"ويرد الاستفهام في الأمثال بوصفه أحد الأساليب الإنشائيّة، التي تتيح إمكانيّة واسعة للتعبير عن معانٍ ودلالاتٍ شتّى، تخرج عن معنى الاستفهام الأصلي إلى معانٍ بلاغيّة ومجازيّة[2]"، وهذا ما وقع في هذا النمط التركيبي للاستفهام، حيث خرج ليفيد معنى بلاغيّا، وهو الإنكار والتعجب.

وقد تضمن المثل أيضا أسلوب الدعاء في قوله: ثكلتك أمك. وقد نُصبت (أي) بالفعل المضارع (ترقع)، وبهذا فقد قدم المفعول به على الفعل والفاعل جميعا، وفي هذا إشارة إلى أهمية المقدَّم، ولعل سبب التقديم هو الأهمية لما فيه التركيز على موضع النفع الذي ينشده راقع الثوب؛ لأنه ينشد شيئا في غير موضعه.

وأول ما يلفت النظر في الأساليب اللغوية لتركيب المثل أنه استهل بالجملة الدعائية (ثكلتك أمك)، ويغلب في استعمال هذه الصيغة الدعائيّة الدعاء للسامع لا الدعاء عليه!. ذلك أنه يقع في خطأ أو سوء فهم، فيبادره مرافقه إلى تنبيهه وتقويم ما وقع فيه، بهذه الجملة الدعائية

(1) أسلوبيّة السؤال ص77.

(2) أسلوبيّة السؤال ص76.

التي تحتمل وجهي الدعاء، والشيء يذكر بالشيء، فذلك شبيه بما جرى لمعاذ بن جبل رضي الله عنه، حين أردفه رسول الله عليه السلام على دابته، وشرع يعلّمه كلمات حتى وصل إلى قوله: "كف عليك هذا" (يعني لسانه)، فقال معاذ: وإنّا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: ثكلتك أمك يا معاذ! وهل يكب الناسَ في النار على وجوههم، (أو قال على مناخرهم) إلا حصائدُ ألسنتهم[1]".

فالعبارة المستعملة في كلتا الحالتين: في المثل وفي الحديث الشريف، لا يُراد بها الدعاء عليه بقدر ما يُقصد بها التنبيه بما هو مثير ولافت، وشبيه بهذا المعنى المثل الآخر القائل: أنت تنفخ في رماد، فالنافخ في رماد كالراقع لثوب خلق، عملهما لا طائل تحته، ولا خير فيه، فالراقع للثوب الخلق سرعان ما ينفتق ثوبه من جهة أخرى غير التي رقع، والنافخ في الرماد سرعان ما يتلاشى الرماد من حوله ، فلا يحظى بشيء غير قبض الريح.

ولعل في (أي) المنصوبة بفعلٍ محذوف دلَّ عليه المذكور (ترقع) تنبيهًا مزدوجًا، تضمن أحدهما الاستفهام، وتضمن الآخر نصب أي، فجاءت أداة الاستفهام المنصوبة لافتة بقوة إلى ما بعدها، وإذا به رقع ثوب خَلَق لا فائدة من إصلاحه.

وقد تكون المثل السابق من سبعة عشر صوتا، ورد منها تسعة أصوات وقفية ، ثمانية منها وقفي مهموس، وواحد منها وقفي مجهور، وهذا يشكل بصمة صوتية واضحة في هذا المثل.

---

(1) الترمذي 2: 103 ، مسند أحمد 5: 23.

ومن هذه الأصوات ما وقع مكررا، ومنها ما وقع لأول مرة، وهذه الأصوات تفتح المجال لتيار الهواء أن يقع سالكا في القناة، مما يُحدث تناغما بين طبيعة الأصوات، وطبيعة الاستفهام الذي يجب الوقوف عنده.

والأصوات الوقفية الواردة في المثل تناسب المعنى الذي ينشده المثل، ويقف المثل مؤكدا أيضا على حقيقة مهمة، ألا وهي التوقف على حقائق الأمور المنشودة، والتفكُّر فيها قبل السعي إليها.

جزاءَ سِنِمَّار[1]:

السنمار في لغة هُذَيل: اللِّصُّ، وذلك أنهم يقولون للذي لا ينام الليل سنمار، فسمي اللص به لقلة نومه، وهذا المثل ضربته العربُ، وقد جرى المثل على لسان الشاعر، حيث قال:

جزتْنا بنو سعد بحُسْن فَعَالنا　　　جَزَاء سنمَّارٍ وما كان ذا ذَنْب

وهذا المثل يُضرب للذي يقابل الإحسان بالإساءة ، أويضرب فى عقوبة المحسن البريء، وقصة هذا المثل هي أن رجلاً روميًّا "بنى الخَوَرْنق الذي بظهر الكوفة للنعمان ابن امرىء القيس، فلما فرغ منه ألقاه من أعلاه فخر ميتا، وإنما فعل ذلك لئلا يبني مثله لغيره[2]"، "ويُقال: هو الذي بنى أطم أحيْحة بن الجُلاح، فلما فرغ منه قال له أحيحة: لقد أحكمته، قال: إنّي لأعرف فيه حجرا لو نُزع منه لتقوّض من عند آخره، فسأله عن الحجر، فأراه موضعه . فدفعه أحيحة من الأطم فخرّميتا [3]

والحديث بالحديث يذكر ، فقد أورد صاحب جمهرة الأمثال معنى المثل في قوله: "والناس يقولون في هذا المعنى جازاه مجازاة التمساح، ويحكون أن التمساح يأكل اللحم، فيدخل في خلال أسنانه ، فيفتح فاه، فيجيء طائر، فيسقط عليها، فيخللها، ويأكل اللحم، فيكون طعاما للطائر، وراحة للتمساح، فربما ضم التمساح فاه على الطائر فيقتله، وروى فيه خرافة فتركتها، وأعجب من هذا الطائر طائر يطير في

---

(1) مجمع الأمثال 159:1 (828)،المستقصى 52:2، فصل المقال 386، تمثال الأمثال 411:2، ثمار القلوب ص139، جمهرة الأمثال 305:1.

(2) مجمع الأمثال 159:1.

(3) المرجع نفسه 160:1. الأُطُمُ : بِضَمَّةٍ وبِضَمَّتَيْن : القَصْرُ.

البحر، ويتبعه طائر صغير لا يفارقه حيث يذهب، فإذا أضجره فلا يخطىء فمه، فيبتلعه وينصرف ويتركه(1).

ويظهر من خلال النص أن المعنى الذي أراده العسكري، هو ذات المعنى الذي أشار إليه المثل، فقد ضُرب المثل لمكافأة الخير بالشر، والأصل أن يُكافأ الخير بالخير، وكذلك فقد كافأ التمساح الطائر بأكله، والأصل أن يكافئه بالمعروف، لا أن يكافئه بالشر الذي لا يتوقعه منه؛ لأن الطائر قد أحسن للتمساح، وفي هذا الأمر نظر؛ لأن الناس اتفقوا على مكافأة المعروف بالمعروف، لا مكافأة المعروف بالشر، وقد روى صاحب المستطرف قصة المثل برواية أخرى وهي "أن أزدجرد بن سابور لما خاف على ولده بهرام، وكان قبله لا يعيش له ولد، سأل عن منزل صحيح مريء، فدل على ظهر الجزيرة، فدفع ابنه بهرام النعمان، وهو عامله على أرض العرب، وأمره أن يبني له جوسقا، فامتثل أمره، وبنى له جوسقا كأحسن ما يكون، وكان الذي بنى الجوسق رجلا يقال له سنمار، فلما فرغ من بنائه عجبوا من حسنه، فقال: لو علمت أنكم توفوني أجرته لبنيته بناء يدور مع الشمس حيث دارت، فقالوا: وإنك لتبني أحسن من هذا ولم تبنه، ثم أُمِر به، فطرح من أعلى الجوسق فتقطع، فكانت العرب تقول: جزاني جزاء سنمار (2)".

وقد كثرت الأنباء والأخبار التي تُضرب فيها أمثال مقابلة الإحسان بالإساءة ، ومنها ما ورد في حكم زهير بن أبي سلمى، حيث أشار لمن

(1) جمهرة الأمثال 1:305.

(2) المستطرف 1:451. الجَوْسَق : القَصْرُ.

يصنع المعروف مع من لا يستحقه، فيلقى جزاء معروفه السوء والمذمة لذلك، وفي ذلك يقول الحكيم زهير:

ومن يجعلِ المعروفَ في غيرِ أهلهِ يكن حمْدُهُ ذمًّا عليه ويندمِ(1)

وكأن الشاعر يشير إلى صناعة المعروف مع أهل المعروف، وفيه تنبيه لعمل المعروف في مكانه، ولا ضير عند المؤمن في مقابلة الشر بالمعروف؛ لأنه يحتسب ذلك كله عند الله تعالى، فلا يذهب المعروف عنده.

وعند النظر إلى المثل من الناحية اللغوية نجد أن (جزاء) وقعت منصوبة لفعل محذوف تقديره جزاني، ولم يتصل بالمثل فعل مذكور يدل على المحذوف؛ لأن معرفة ذلك وتقديره، لا تحتاج إلى الخبرة وبذل الجهد، فهو مما اتفق عليه العقلاء، فناسب مقام الحذف العقل السليم من الإشارة إلى إهمال صانع السوء، بمعنى أن حذف الفعل وفاعله جاء مناسبًا؛ لأن قيمة الفاعل لم تَعُدْ مهمة فحُذف، وحتّى نزيد من إهماله لشناعة فعله فأُهمل.

وقصر العبارة المتمثّلة في هذا المثل، لهي دليل ساطع على أن العرب كانت تتوخّى الإيجاز في أمثالها، حتّى يسهل حفظها، وحتّى تُؤدي الألفاظ القليلة المعاني الكثيرة، فتتحقق في مثل هذه الأمثال مقولة: البلاغة الإيجاز.

ويظهر في المثل عند بحثه من الناحية الدلالية المعاني الاجتماعيّة التي تكمن في الصدق والوفاء، فقد وضّح المثل معنى دلاليّا تربويّا مهمًّا، وهو الوفاء للآخرين، لأن مثل هذه التنشئة الاجتماعيّة السليمة، التي يتربى

---

(1) ديوان زهيرص76.

عليها المجتمع تصبح دليل خير على وجود مجتمع صالح يصدق، يفي ولا يغدر، حتى يغدو مترابطًا قويّا متماسكا دائما.

" وبما أنّ السلوك اجتماعيّ، فالسياق يتعهد بالكشف عن المضامين الاجتماعيّة والنفسيّة، بمشاركة النظم النحويّة والصرفيّة والصوتيّة[1] "، وبهذا يظهر ما في المثل من الوعي، حيث أظهر الكشف النفسي للفاعل، وذلك في سياق الحادثة التي قيل فيها المثل، ويظهر أيضا في هذا المثل الثنائي المكوّن من كلمتين صرفيّا، عمق البنية الإيقاعيّة، فهي تعبر عن دهشة المفارقة بين ما يتوقع من ردود فعل، لمن يُحسن إليه، وما بدر منه، فقد قابل الإحسان بالإساءة ، فكان يناسب هذه المفارقة قصرًا نغميا إيقاعيا بنائيا في المثل، وقد شاعت مثل هذه الأمثال الشعريّة واشتهرت؛ وذلك لتناغم أصواتها، وقصرها، وبالتالي فلا بدَّ لها من الديمومة والبقاء.

وفي ذلك "استطاع ابن عبد ربّه أن يُحدد الفرق بين المثل والشعر بالبقاء، إذ أنَّ المثل أبقى من الشعر. وهذا يعني أن البقاء من خصائص الشعر أيضًا؛ إلا أنَّ المثل يفضله في ذلك. فإذا عرفنا هذا انتهى الأمر إلى أنَّ المثل الشعري أبقى من الشعر والمثل كليهما[2] ".

وعند النظر في ذلك، يرجع القول فيه إلى أنَّ طبيعة المثل سهّلت له الصيرورة من جانب، والبقاء من جانب آخر ، أمّا الصيرورة، فمردهما إلى قصر ألفاظ المثل، وبلاغته المُعبّرة في المواقف المعيّنة، وتتابع المواقف والأحداث، وأمّا البقاء فلكثرة التداول؛ ولأنَّ الألسنة ما زالت تنطق به

(1) الدلالة اللغوية عند العرب ص166.

(2) الخصائص الأسلوبيّة للمثل ص53.

إلى أوقات متأخرة ، ومن المعلوم أنَّ بقـاء المثـل مرهـون باسـتعماله، ومـا زالت الأمثال مطروقة الاستعمال إلى اليوم.

حسْبُكَ مِنْ غنًى شِبَعٌ وَرِيٌّ[1]:

هذا المثل الشعري لامرئ القيس يذكر مِعْزًى كانت له فيقول:

إذا مـــا لم تكن إبلٌ فمعزى   كأن قُـــرون جلّتِها العِصِيُّ

فتملأ بيتنا أقِطًا وســـمنًا   وحسْبُكَ مِنْ غنًى شِبَعٌ وَرِيٌّ[2]

وهذا المثل لمن يقنع من الغنى بما يشبعه ويرويه، ويجود بما فضل عنده.

ويقول الميداني في شرح المثل: "قال أبو عبيد: وهذا يحتمل معنيين أحدهما يقول: أعطِ كلَّ ما كان لك وراء الشبع والري، و الآخر: القناعة باليسير، يقول: اكْتفِ به، ولا تطلب ما سوى ذلك، والأول الوجه لقوله في شعر له آخر، وهو:

ولو أنما أسعى لأدنى معيشـــةٍ   كفاني، ولم أطلب، قليل من المال

ولكنما أسعى لمجد مؤثَّـــلٍ   وقد يدرك المجدَ المـــؤثَّلَ أمثالي

وما المرء ما دامت حُشاشه نفسه   بمـدرك أطراف الخطوب ولا آل

فقد أخبر ببعد همته وقدره في نفسه[3]".

ومؤدى الأبيات أنَّ الشاعر يرضى بأقل ظروف المعيشة والحياة، وأن ذلك يكفيه عن الطلب، ولكن الشاعر يسعى للمجد التليد، ومن كان مثله حُق له أن يطلب المجد، وأن نظراءه مكانة وصفات، قد خُلقوا

---

(1) مجمع الأمثال 195:1 (1034)، المستقصى في أمثال العرب 63:2، جمهرة الأمثال 379:1، تمثال الأمثال 424:2، العقد الفريد 106:3.

(2) ديوان امرئ القيس ص154. الجلّة :المُسنُّ من الماعز أو الغنم ، العصيُّ :جمع العصا، الأقط : لَبنٌ مُجَفَّفٌ يُطْبَخُ به. وقد ورد صدر البيت الثاني في الديوان بلفظ: فتوسع أهلها أقطًا وسمنا.

(3) مجمع الأمثال196:1. والأبيات في ديوان امرئ القيس ص54.

لهذا الشيء. والإنسان ما دام حيًّا، لا يعرف نهايات الأمور، ولا يترك من جهده شيئًا في تحصيل ما يرمي إليه.

والمَجْدُ المُؤثَّلُ: هو القَدِيم الثابت الدائم، الحشاشة: بقية النفس، أطراف الخطوب: نهايات الأمور والمصائب، آل: تاركٌ جهدًا.

ويتجلّى في هذا المثل مظاهر اجتماعية، تحقق التكافل الاجتماعي في المجتمع، ويغطي جانبا من جوانب الأخلاق العربية الأصيلة التي كانت تظهر عندهم، ومنها الكرم، و كف السائل عن السؤال.

ويعمد امرؤ القيس إلى التشبيه في قوله: كأن قُرون جلّتِها العِصِيُّ، حيث صور تلك القرون بالعصيّ التي تبدو قوية ظاهرة القوة. والبيت الثاني يصور فيه الشاعر المعزى تملأ البيت بالأقط والسمن وكأنها أصبحت مصدرا من مصادر الرزق والطعام عنده، ويكتفي الشاعر، بما أظهر من عجُز البيت الثاني، بالشبع والري، وما زاد فهو فضل زائد وخير .

وقد صُدِّر المثل السابق بقول الشاعر: وحسبك، وحسْب اسم مفرد، يلزم صيغة الإفراد، فلا يثنى ولا يجمع، وهو اسم جامد لا يدل على زمان ولا على مكان، ويقع في موضعين هما: أن يكون مضافًا لفظًا ومعنى، فيعرب إعراب الأسماء، فيقع في محل رفع المبتدأ ويقع نعتا أو حالا، أو يُستعمل بمعنى (لا غير) ويكون مفردًا ومقطوعًا عن الإضافة لفظا لا معنى، فيبنى على الضم، ويقع نعتا أو حالا، وقد استعمل الشاعر حسبك هنا موقع الاسم الذي حلَّ محل المبتدأ، والضمير المتصل به وقع في محل جر بالإضافة، وخبره الشبع والري.

ويقود استعارة شطر من الشعر في مثل سائر، إلى استعمال الأوزان الموسيقية في الأمثال، فهي من النثر الموزون الجميل، وإلى ترديدها وتمثّلها؛ لأنها تقع في النفس موقع القبول، لما فيها من سهولة لفظ، وجماليّات لا تسترها الألفاظ.

حَظِيِّين بناتٍ صلِفِينَ كنَّاتٍ[1] :

"الحظِيُّ: الـذي له حظوة ومكانة عند صاحبه، يُقال: حظي فـلان عنـد الأمير، إذا وجد منزلة ورتبة، والصَّلِف: ضده، وأصل الصلف قلة الخـير، يقال: امرأة صلِفة، إذا لم تحظ عند زوجهـا، والكنَّـة: امـرأة الابـن وامـرأة الأخ أيضًا"[2] ، يُضرب هذا المثـل في أمْـرٍ يَعْسُـر طلـب بعضـه، ويتيسـر وجود بعضه، وقد نُصبت كلمتا "صلفين وحظـيين" علـى إضـمار فعـل محذوف تقديره وجدوا.

ويقول السيوطي: "وقد يجب حذف العامل كأن جرى مثلاً كقـولهم: "حَظِيِّين بناتٍ صلِفِينَ كنَّاتٍ" أي عرفتهم"[3] وأمّا كلمة بنـات وكنَّـات فقد نصبتا على التمييز .

وامتاز المثل بالإيجاز والاختصار من حيـث الألفـاظ والتراكيـب، وفي المثل من جانب آخر، نرى أن المثل فيه دلالة على قـوة الألفـاظ وجزالتهـا وفحوى دلالتها، فقد ربط ضارب المثل بين علاقة صاحب الحظ بما يريد، ومن تعذر عليه الأمر بـربط علاقـة الكنّـات مـع بعضـهن، وكـأن المثـل يصور حالة اجتماعيّة يعيشها الناس، ويتصورون وجود مثـل هـذه الحالـة بينهم ، وهذه الحالة صعوبة التعامل مع الكنات.

أمّا الناحية البلاغية التي تضمنها المثل فهـي الاعتمـاد علـى أسـلوب الطباق، فقد طابق المثل بين كلمتي: "صلفين و حظـيين" ، وفي مثـل هـذه

---

(1) مجمع الأمثال 209:1 (1113) ، اللسان (حظا).

(2) مجمع الأمثال 209:1.

(3) همع الهوامع 261:2.

المطابقة بيان الفرق بين من كان له منزلة عند الآخرين، ومن فقد هذه المنزلة، ومن جانب آخر من كان يسعى لطلبِ أمرٍ حصل على بعضه، وتعسر عليه البعض الآخر، فربما وقعت المقارنة بين حصولِ أمر ارتهن بشرطٍ يسيرٍ، أو طلب شيءٍ ارتهن بشرط عظيم، فلا يتأتّى حصوله لصعوبته، ولا يخفى ما لدور الموسيقى الصوتية الواردة في كلمتي (حَظِيِّين وصلِفِينَ) من إثارة الانتباه للسامع.

ولعل المثل قام على حقيقة اجتماعيّة صالحةٍ لكل زمان ومكان، أعني حظوة البنات عند آبائهنَّ، وانتفاء هذه الحظوة عند تحولهنَّ إلى كنّات. ولولا هذه الحقيقة القائمة ما كان هذا المثل.

الحَديثُ ذو شجونٍ[1]:

في معنى مادة شجن، يقول صاحب اللسان: " والشجن: الهمّ والحُزْن، والجمع أَشْجانٌ وشُجُونٌ، شَجِنَ بالكسر شَجَناً وشُجُوناً، فهو شاجِنٌ، وشَجُنَ وتشَجَّنَ، وشَجَنَه الأَمرُ يَشْجُنُه شَجْناً وشُجُوناً وأَشْجَنَهُ: أَحزنه[2] ".

وهذا المثل يُضرب في الحديث يُتذكر به غيره، أول من قاله ضَبَّة بن أُدّ.

قال الميداني: "كان لضبة ابنان يقال لأحدهما سعد وللآخر سعيد، فنفرت إبل لضبة تحت الليل، فوجَّه ابنيه في طلبها، فتفرقا فوجدها سعد فردَّها، ومضى سعيد في طلبها، فلقيه الحارث بن كعب، وكان على الغلام بُردان فسأله الحارث إيّاهما، فأبى عليه، فقتله وأخذ برديه، فكان ضبة إذا أمسى فرأى تحت الليل سوادا قال: أسعد أم سعيد؟ فذهب قوله مثلا يُضرب في النجاح والخيبة، فمكث ضبة بذلك ما شاء الله أن يمكث، ثم إنه حجَّ فوافى عُكاظ، فلقي بها الحارث بن كعب، ورأى عليه بُرْدَي ابنه سعيد ، فعرفهما ، فقال له: هل أنت مخبري ما هذان البردان اللذان عليك؟ قال: بلى، لقيت غلامًا وهما عليه، فسألته إيّاهما، فأبى عليَّ، فقتلته، وأخذت برديه هذين، فقال ضبة: بسيفك هذا؟ قال: نعم، فقال: فأعطنيه أنظر إليه، فإني أظنه صارمًا، فأعطاه الحارث سيفه، فلمّا أخذه من يده هزَّه، وقال: الحديث ذو شجون، ثم ضربه به حتى

(1) مجمع الأمثال 197:1(1044) ، أمثال العرب ص 47، تمثال الأمثال 291:1، جمهرة الأمثال ص 377، زهر الأكم 102:3، فصل المقال ص67، العقد الفريد 85:3.

(2) لسان العرب (شجن).

قتله، فقيل له: يا ضبة أفي الشهر الحرام ؟ فقال: سبق السيف العذل، فهو أول من سار عنه الأمثال الثلاثة (1) ".

قال الفرزدق في ذلك:

لا تأمننَّ الحرب إن استعارها كضبّة إذ قال : الحديث شجون (2) .

وقد ورد في بعض المعجمات: الشَّجْنُ بالتسكين واحدُ شُجُون: الأَودية، وهي طُرُقُها، والشاجِنة واحدة الشواجِنِ، وهي أَودية كثيرة الشجر، ومن هنا يمكن النظر إلى أولى اللفتات الدلالية البيانية التي حملها المثل، وهي ورود التشبيه فيه، حيث شبه المثل الحديث المتشعب الطرق المتداخل، بصورة الوادي المتشعب الطرق الكثير الشجر، وكأن الالتفاف الواقع بين طرفي الصورة يوحي بعمق التداخل بينهما، فإذا ما دخلت في حديث متشعب طويل لن تعرف نهايته، وفتح لك الحديث الطرق المتداخلة في الكلام، فكأنك دخلت في وادٍ كثرت فيه الطرق وتشعبت فلا تعرف نهايته. والعمق في الصورة الفنية ودقتها يوحي بدقة المثل، فقد صورها المثل بالصورة التمثيلية ليستجلبها العقل، ويعرف قرارها، ووقع المثل جملة اسميّة مصدَّرة بالمصدر للفت النظر إليه، ثم للإخبار عنه بالمتضايفين، ليبقى النظر مصوّبًا إلى صدر الجملة، وإلى ما سيُخْبَر عنه.

---

(1) مجمع الأمثال 197:1.

(2) ديوان الفرزدق 333:2.

خَطْبٌ يَسِيرٌ في خَطْبٍ كَبِيرٍ [1] :

الخَطْبُ الأمر الشديد، وهذا المثل قاله قَصير بن سَعْد اللَّخْمي لِجَذِيمة بن مالك بن نَصْر الذي يقال له: جَذِيمة الأبرش وجذيمة الوَضَّاح، والعرب تقول للذي به البَرَصُ: به وَضَح، تفادياً من ذكر البرص. وهذا المثل يُضرب لأمر يبدو في ظاهره الحُسن، ويبدو سهل المنال، ولكن صاحبه يُخفي وراءه شيئًا عظيمًا.

وقصة المثل أن جذيمة كان مَلِكَ ماعلى شاطئ الفرات، وكانت الزبَّاء ملكةَ الجزيرة، وكانت تتكلم بالعربية، وكان جَذِيمة قد وترها بقتل أبيها، فلما استجمع أمرُها، وانتظم شمل ملكها، أَحَبَّتْ أن تغزو جَذِيمة، ثم رأت أن تكتب إليه أنها لم تجد مُلْكَ النساء إلا قُبْحاً في السَّمَاع، وضَعْفا في السلطان، وأنها لم تجد لملكها موضعا، ولا لنفسها كفئًا غيرك، فأَقْبِلْ إليَّ لأَجْمَعَ ملكي إلى ملكك، وأصِلَ بلادي ببلادك، تريد بذلك الغَدْر.

فلما أتى كتابُهَا جذيمةَ، وقدم عليه رسُلُها، استخفَّه ما دَعَتْه إليه، ورَغِبَ فيما أطمعته فيه، فجمع أهلَ الحِجا والرأي من ثقاته، فعرض عليهم ما دعته إليه. واستقر رأيهم على أن يسير إليها، فيستولي على ملكها، وكان فيهم قَصير، وكان حازما أثيراً عند جَذِيمة، فخالفهم فيما أشاروا به، ثم قال لجذيمة: الرأيُ أن تكتب إليها، فإن كانت صادقةً في قولها، فَلْتُقْبِل إليك، وإلاَّ لم تمكنها من نفسك ، ولم تَقَعْ في حِبالتها وقد وَتَرْتَها، وقتلتَ أباها، فلم يوافق جذيمة ما أشاربه.

---

(1) مجمع الأمثال1:233 (1250) ، المستقصى 2:74.

ودعا ابنَ أخته فاستشاره، فشجَّعه على المسير، واستخلف جذيمةُ عمرَو بن عديٍّ على ملكه وسلطانه، وجعل عمرو بن عبد الجن معه على جنوده وخيوله، وسار جذيمةُ في وُجُوه أصحابه، فلما نزل دعا قصيرا، فقال: ما الرأيُ يا قصير؟ فقال قصير: "ببقَّةَ خَلَّفْتُ الرأي"، وقال: وما ظَنُّكَ بالزباء؟ قال: نخشى غدر القوم، واستقبله رسُلُ الزباء بالهَدَايا، فقال: يا قصير كيف ترى؟ قال: خَطْبٌ يسير في خَطْب كبير، فذهبت مثلا، وبعدها استقبلت الزباء الملك ، في حديث طويل انتهى بقتل جذيمة (1) .

ولعل ما دعا إلى إطلاق هذا المثل أنه رأى في ثاقب نظره أنَّ أمرًا يسيرًا يقابله، في إطار أمر كبيرٍ ينتظره، فهان عليه الأول مع تصور الآخر، فهذا المثل يضرب لكل من يواجه أمرًا فيستهينه في مقابل ما ينتظره من أمرٍ عسيرٍ وخطب جلل، وأول ما يطالعنا في هذا المثل من اللفتات البيانية أسلوب الطباق الوارد في المثل من قوله: (يسير، كبير) ، فقد طابق المثل بين الأمرين ليسلط الضوء على الفرق بينهما ، فإن كان الأمر كما يُخيل بالظاهر يسيرًا ، فهو يحمل في طياته الأمر العظيم الجلل .

وهذا ما أكّده صوت اللين (الياء) الوارد في كلمة يسير، وما يحمله من السهولة والخفة في النطق، ليقابله صوت الوقف (الكاف) في كلمة (كبير)، لنقف عنده ونتأمله.

وقد استعمل المثل أيضًا أسلوب المقابلة في قوله: (خطب يسير في خطب كبير)، فالمقابلة بين الصورتين اللتين حملهما المثل وضحت الفرق

(1) انظر تفاصيل القصة في مجمع الأمثال 233:1 وما بعدها.

بينهما، لتخرج بذلك الصورة من الحيز الأدنى لها بوجود الطباق، إلى الدائرة الكبرى فيها بوجود المقابلة، فقد عمّمت المقابلة الصورة الواقعة فيها، لتشمل كل الحالات الجزئية فيها، وفي اجتماع الطباق مع المقابلة مزيد من الإيضاح للصورة الواردة في المثل، لتكون شاهدة على غيرها من الصور، "ومن الممارسات اللغوية الاستخدام البارز للأسماء الجامدة في حالة تقابل، ولاسيّما في الأمثال الحكمية، مما يشير إلى ملاءمة استخدام الأسماء الجامدة لسياق الحكمة التي تتناول الثابت في حياة الإنسان (1) ".

وهذا صنيع المثل السابق، حيث وضّح حكمة متّبعة في الحياة، ألا وهي أنَّ الخطب اليسير مآله إلى خطب كبير، وهذا ما أراده قصير من إيراد تلك الحكمة لوعظ جذيمة، أما النواحي اللغوية التي تبدو في المثل، فهي ورود المشتقات، فقد استخدم المثل الصفة المشبهة باسم الفاعل في قوله: (يسير)، ودلالة الصفة توحي بما وقع عليه الموصوف وهو الخطب، وما وقع فيه الوصف فقد دلّ على الثبات والاستقرار، فورود الصفة يوضّح عمق الصورة التي كان يراد منها الغدر، فالغدر واقع لا محالة بوجود الصفة الثابتة.

وأما الخبر وهو (خطب) فقد زاد في إيضاحه وتفسيره شبه الجملة (في خطب)، فما وضح الخطب الأول وإن وقع موصوفًا بكلمة بيسير، وشبه الجملة في خطب كأنها جاءت تعطي مزيد الإيضاح والبيان.

(1) الخصائص الأسلوبيّة للمثل ص209.

أخْلَى مِنْ جَوْفِ حمارٍ[1] :

هذا المثل ضربته العرب في الخراب والخلاء.

وأما قصة هذا المثل فيقول صاحب اللسان[2] : "وجوْفُ الحِمـار وادٍ منسوب إلى حِمارِ بن مُوَيْلِع، رجل من بقايا عاد، فأَشـرك باللـه، فأَرسـل اللّه عليه صاعقةً أَحْرَقَتْه والجَـوْفَ، فصـار مَلْعبـاً للجـن، لا يُتَجَـرَّأُ علـى سلوكه، وبه فسر بعضهم قوله:

وخَرْقٍ كَجَوْف العَيْرِ قَـفْرٍ مَضَلّة

أَراد كجوف الحِمار، فلم يستقم له الوزن، فوضع العيرَ موضعه، لأَنه في معناه، وفي التهذيب قال امرؤ القيس:

ووادٍ كَجَوْفِ العَيْرِ قَـفْرٍ قَطَعْتُه

وأمّا الحمار فقد اختُلف في تفسيره، فقال قوم: "هو رجل مـن عـاد، وجوفه: وادٍ كان يحلّه، ذو ماء وشجر، فخرج بنوه يتصـيّدون فأصــابتهم صاعقة فأهلكتهم[3] ".

وفسّر الأصمعي قول امرئ القيس[4] :

ووادٍ كَجَوْفِ العَيْرِ قَـفْرٍ قَطَعْتُه

---

(1) مجمع الأمثال 1:257 (1364)، المستقصى 1:109.

(2) اللسان مادة (جوف).

(3) مجمع الأمثال 1:257.

(4) ديوان امرئ القيس ص108. وقد ورد البيت في ديوانه بلفظ:

وخَرْقٍ كَجَوْف العَيْرِ قَـفْرٍ مَضَلّة ... قطعت بسامٍ ساهم الوجه حُسّان

الخرق: الأرض الواسعة، السامي: الفرس المرتفع، الساهم: القليل لحم الوجه.

بأنه الحمار، وجوفه بمنزلة الوادي القفر لا منفعة للناس فيه.

ويرى الميداني أن اسم هذا الرجل القائل للمثل ليس حمارًا، وربّما يؤيد هذا القول ما روى حيث قال: "هذا قول هشام الكلبي. وقال غيره: ليس حمار ههنا اسم رجل، بل هو الحمار بعينه، واحتج بقول من يقول: "أخلى من جوف العير" قال: ومعنى ذلك أن الحمار إذا صيد لم ينتفع بشيء مما في جوفه بل يرمى به، ولا يؤكل (1) ".

وقد بدأ الميداني في مستهل شرحه للمثل بقوله: "هو رجل من عاد"، وأمّا في ختام الشرح فقد نقل الميداني قول الأصمعي أن اسمه "حمار بن مُوَيْلع"، ولعل الثمرة مما أراد الباحث من نقل كلام الميداني أنه لم يصرح باسمه، وليست العبرة باسم المضروب فيه المثل، وإنما جواز ضرب المثل بالحمار في هذا الموطن لجامع الاشتراك والتشبيه بين الحمار أو الرجل ذاته، فقد نقص عقله.

وخلا من الحق والنفع، فشابه الحمار في جوفه، حيث لا ينتفع ولا يستفاد منه في أي حالٍ من الأحوال، وقد وردت كلمة الجوف في المعجم بمعنى: القلب، وما وَعى وحَفِظَ من مَعْرِفةِ اللّه تعالى.

وهذا المثل قد ورد على وزن أفعل، ويمكن الاستدلال من خلال هذه الصيغة على وجود المقارنة بين من ضُرب فيه المثل والحمار، وقد ساء مورد من ضُرب فيه المثل، لأن منزلته فيما فعل من قبحٍ وكفرٍ وانعدام الفائدة، قد شابه الحمار في عدم النفع وقت الحاجة للانتفاع منه، في الطعام أو غير ذلك مما في جوفه.

---

(1) مجمع الأمثال 257:1.

و "أفعلُ إذا كانت للتفضيل، أكثر تخصيصًا وتحديدًا من بين سائر أبنية الاسم، فاختراع العربيّة له، ممّا يسهل تركيب الجملة، والتعبير عن الأفكار المشكلة بالتركيبات المشتبكة؛ مثال ذلك "هذا أكثر من أن يُحصى"، و"أنتم أحوج إلى هذا"، ولا يوجد مثلهما في سائر اللغات السامية (1) ".

وبهذا يظهر اختصاص هذه اللغة الشريفة دون غيرها بأفعل التفضيل، ولا يخفى وجود التراكيب المتشابهة في اللغة، ولذا؛ كان لابدَّ من وجود مميّز للتفريق بينها، وقد احتلت صيغة أفعل في أمثال الميداني كمًّا نسبيا كبيرًا، بدلالة أنّه أفرد لها بابًا خاصًّا بعد كل حرف، وعنون هذا الباب بقوله: "ما جاء على أفعل"، والمُلاحظ لهذه الصيغة، يجد بوضوح أنّها تتصدَّرُ تركيب المثل، وتقع نكرة غير مضافة.

ويلاحظ أيضًا أنّها تُشتق من البيئة المحيطة حول المصنّف، وقد كثرت الأمثال الواردة على وزن (أفعل)، حتّى ألحق المُصنِّف بكل حرف من الحروف، ما جاء منه على وزن أفعل.

"وقد أفادت اللغة من هذه السمة الدلاليّة في اسم التفضيل، فطوّعته ليدل على تجسيد صفة في شيءٍ ما بتفضيله على ما عُرف بها أو شُهِرَ، فيقال: أبرد من الثلج، وأقسى من الحجارة (2) ".

(1) التطور النحوي للغة العربية ص104.

(2) المغني الجديد في علم الصّرف ص284.

وقد ورد جملة من الأمثال التي استعملت صيغة المفاضلة، على خلاف القاعدة الصرفية؛ لأنَّ وزن اسم التفضيل منها قد صيغ من أفعال مبنية للمجهول، ومنها قوله: "أجن من دُقّة (1)".

وبهذا تكون الصيغة السابقة، قد خالفت القاعدة الصّرفيّة؛ لأنها صيغت من الفعل (جُنَّ)، وهو فعل مبني للمجهول، والأصل قولنا: هو أشد جنونًا، وفي المثل دقة التصوير وجماله حيث ضربت العرب المثل مستعملة من الحمار جوفه، وفيه دلالة على عدم الانتفاع من الجوف في أي حال من الأحوال، فكلما قلبت الأمور لمحاولة الإفادة من الجوف، لا تجد في ذلك.

وهذا مثلٌ مستمد من البيئة، فهو مأخوذ من بعض الدواب التي كانوا يعتمدون عليها، وما كان يُفعل بهذه الدابة من إخلاء جوفها، فلا يبقى فيها شيء، ولا يقع منها نفع.

وترد شبه الجملة المكونة من الجار والمجرور الواردة في المثل "من جوف" لتوضح دلالة بيان الجنس المضروب فيه المثل، فالخلاء والخراب لاينتفع منه، فكل عمل باطل، أو قول باطل، طابق هذا الجوف الفارغ، وأما ورود التركيب الإضافي في قوله جوف حمار، فقد ورد على سبيل التخصيص، فقد تم تخصيص جوف الحمار دون سائر أعضائه، لأن الجوف موطن النفع عادة، ومحط الاهتمام، فإذا كان موضع النفع ومحط الاهتمام لا خير فيه ، فمن باب أولى أن يكون الجسد كله لا نفع، ولا خير فيه وقت موته، وإذا ما عمّق الناظر البحث في كلمة أخلى، وجد

---

(1) مجمع الأمثال 187:1.

فيها من الدلالة على الفراغ ما يجد، فالخلو فضاء لا ينتفع منه، فما قيمة الشيء فارغًا؟

دَعِ المِرَاءَ وَإِنْ كُنْتَ مُحِقًّا[1] :

يُضرب المثل في ترك المماراة والمجادلة مع الآخرين، حتّى لو كان الإنسان على صواب ومجادله على خطأ.

"والمراء: طعن في كلام الغير لإظهار خلل فيه من غير أن يرتبط به غرض سوى تحقير الغير[2] ".

" ويقال: مَارَيْتُه أيضا إذا طعنت في قوله تزييفا للقول ، وتصغيرا للقائل، ولا يكون المِرَاءُ إلا اعتراضا ، بخلاف الجدال فإنه يكون ابتداء واعتراضا، وامترى في أمره شكّ، والاسم المِرِيَّةُ بالكسر[3] ".

" المراء: الجدال ، والمماراة المجادلة على مذهب الشك والريبة[4] ".

ويظهر من خلال قول صاحب المصباح أن ثمة فرقًا بين الجدال والمراء، فالمراء لا يُقصد منه إلا الطعن في أقوال الآخرين، لغرض تزييف القول، وتحقير شأن القائل، أمّا الجدال فيحتمل المناقشة الحادة أو الاعتراض، من غير الطعن في كلام الآخرين.

وأيّا كان الأمر ، إن كان جدلا أو كان مراء، فقد بين النبي صلى الله عليه وسلم حرمته في حديثه الشريف: "ما ضل قوم بعد هدي إلا أوتوا الجدل، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا

---

(1) مجمع الأمثال 274:1 ، من أمثال المولدين.

(2) التعريفات 266:1.

(3) المصباح المنير 570:2.

(4) تاج العروس (مري).

بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ "[1]، والمعنى المقصود من الآية: "إنهم قد علموا أنك لا تريد منهم أن ينزلوك منزلة المسيح"[2].

وبهذا بين صلى الله عليه وسلم حرمة الجدال، وبين خطورته، وأنه سبيل من سبل الغي والضلال، فكيف بالمراء الذي يجعل حقائق الأمور كذبًا؟.

والحديث بالحديث يذكر، فالمراء في القرآن الكريم، كفر بواح، فلا خلاف في نزول القرآن على أحرفه السبعة، وإنما الخلاف في تأويله، وفي ذلك قال ابن الجوزي: "المراء في القرآن كُفْرٌ، قال أبوعبيد: ليس وَجْهُ الحديثِ عِنْدَهُ الاختلافُ في التَأْويلِ بل في الأَلْفَاظِ أن يقولَ الرجلُ على حَرْفٍ، فيقول الآخر لَيْسَ هكذا، ولكنَّه على خلافه، وقد أنزلهما الله تعالى جميعاً بدليل قوله: "نزل القرآن على سبعة أَحْرُفٍ "[3] فإذا جُحِدِ أحدهما يُثْبِتُهُ الآخر، وكلاهما منزَّلٌ، فذلك يخرج إلى الكفر"[4].

وأمّا الآية التي وردت في قوله تعالى: "فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إِلا مِرَاء ظَاهِرًا وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا"[5]. فقد وضح الطبري معنى المراء في الآية، وهو عدم الخوض في عدد أهل الكهف أو عدتهم، بل يُكتفى بما

(1) الزخرف : 58.

(2) المستدرك 486:2.

(3) معاني القرآن 377:6.

(4) غريب الحديث لابن الجوزي 355:2.

(5) الكهف 22.

قدّم الله في كتابه عنهم؛ لأن العبرة في قصة البعث والنشور ، ولا فائدة من البحث في عددهم أو غيره من المسائل [1].

والآيات التي وردت فيها كلمة المراء كثيرة [2]. والناظر فيها يرى بوضوح أنها تختص بأمور عقديّة بحتة، وبالتالي فلا فائدة من المماراة أو الجدل فيها، وفي هذا دليل آخر مستقى من القرآن الكريم على حرمة المماراة أو الجدل، فكل الآيات تدل على ذلك بوضوح. وأول ما يطالعنا من اللفتات البيانية في هذا المثل لفظة المراء عينها، فقد ورد في المعجمات أن من معاني المراء حلب ضرع الشاة لاستخراج ما فيها من اللبن، وبهذا يتضح أن المماراة والمجادلة يقع فيها أن كل طرف من الأطراف المتجادلة يمري صاحبه ليستخرج ما عنده من الآراء والكلام، وعليه فقد وقعت الصورة الفنية في ذلك، حيث شبه المثل المتجادلين بصورة رجلين، كلٌّ منها يمري صاحبه ليخرج ما عنده من القول والمجادلة.

وأما اللفتات اللغوية التي تضمنها المثل فهي ورود المصدر والمشتق فيه، فأما المصدر فوقع في لفظة المراء، وهو ما يدل على الاشتراك بين الطرفين أو الجانبين؛ لأن المراء إنما يقع من خلال التواصل في الكلام والمحادثة، وبهذا دل المصدر على وجود الحدث الذي يقع من الجانبين.

(1) انظر تفسير الطبري 205:8.

(2) منها آيات: الحج 55 ، هود 109، السجدة 23، فصلت 54، مريم 34، الحجر 63، النجم 12.

وأما المشتق فهو لفظة مُحق، فقد دلت على امتلاك الحق لصاحبه، ومع ذلك يجب التنازل عن هذا الحق لغرض الاتباع للأمر المنشود من النهي عن المراء.

وقد تضمن المثل أيضًا أسلوب الأمر المزدوج بالشرط، في قوله: (دع) وقوله: (وإن)، فقد حمل الأمر صيغة الوجوب في ترك المراء، وقيّده بالشرط: وإن كنت محقا، والمعنى ولو كنت صاحب حق اتركه، فترك المراء لمن لا يكون صاحب حقٌ في المناقشة والمماراة أولى.

ويعد الأمر من الأساليب الإنشائيّة الطلبيّة التي تكثر في الأمثال، إذ كثرت الأمثال التي تصدرها الأمر؛ ولذا يخرج أسلوب الأمر من الحلّة التي وقع فيها، وهي الوظيفة القائمة على الإيجاب، ليفيد المعاني البلاغيّة المتعددة، ومنها النّصح والإرشاد، وهذا ما ظهر في المثل السابق، حيث نهى عن الجدل، وأمر بتركه، ولو كان المُجادل محقًّا.

ومن الأساليب الدلالية الأسلوبيّة أيضًا الشرط، حيث عدَّه بعض الباحثين أسلوبًا من القضايا الأسلوبيّة، والتي أثارت اهتمام الدرسين النحوي والبلاغي في سياق الجمل المركّبة [1].

وقد تضمن المثل السابق الشرط في قوله: و(إن كنت محقا)، ويظهر في هذا عمق الدلالة الأسلوبيّة، حيث ضمّن ترك المِراء والجدل؛ ليخرج بالسامع من رتابة الموقف الوعظي، ويلزمه بترك الجدل من جانب، ويوضّح له ترك الجدل في كل الأحوال، فكيف بمن كان محقًّا في جدله؟

---

(1) انظر اللغة الشعرية ص168.

ذهبوا أَيْدي سبأ، وتفرّقوا أيدي سبأ[1] :

هذا المثل يضرب للقوم الذين تفرقوا تفرقًا لا اجتماع معه.

وأصل المثل ماروى الميداني: من أن فروة بن مسيك، قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله أخبرني عن سبأ أرجل هو أم امرأة، فقال: هو رجل من العرب، ولد عشرة، تيامن منهم ستة، وتشاءم منهم أربعة، وهم الذين أرسل عليهم سيْل العرم، وذلك أن الماء كان يأتي أرض سبأ من أودية اليمن، فردموا ردمًا بين جبلين، وحبسوا الماء، وجعلوا يسقون، فأخصبوا، وكثرت أموالهم، فلمّا كذّبوا رسولهم بعث الله جُرَذا نقبت ذلك الردم حتى انتقض، فدخل الماء جنتيهما فغرقهما، ودفن السيل بيوتهم، فذلك قوله تعالى: "فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ"[2] .

وهكذا تفرّقت سبأ في الأمصار، فسار بعضهم إلى مكة وأقاموا بها، ولحق بعضهم بقصر عُمان المشيد فكانت أزدعُمان، وذهب بعضهم إلى الأراك فكانت خزاعة، وبعضهم لحق بيثرب فكانت الأوس والخزرج، وتوجّه بعضهم إلى بُصرى الشام وهم آل جفنة من غسان، ولحق بعضهم بأرض العراق، وهم آل جذيمة الأبرش كانوا بالحيرة[3] .

وعند النظر في المعجمات اللغوية، فقد وقع للباحث أن سبأ اسم لرجل، وعليه ما وقع في اللسان حيث قال: "وسَبَأُ اسم رجل يَجْمع

(1) مجمع الأمثال1:275 (1454) ، ثمار القلوب ص377، زهر الأكم 3:16، اللسان (سبأ).

(2) سبأ 16.

(3) انظر في ذلك مجمع الأمثال 1:275 وما بعدها.

عامَّةَ قَبائل اليَمن، يُصْرَفُ على إرادة الحَيِّ، ويُتْرَكُ صرْفُه على إرادة القَبِيلة، وفي التنزيل: "لقَدْ كانَ لِسَبَإٍ في مَسكِنِهِم" وكان أَبو عمرو يَقرأُ لِسَبَأَ قال:

مَنْ سَبَأَ الحاضِرِينَ مَأْرِبَ إذْ يَبْنُونَ مِنْ دُونِ سَيْلِها العَرِما "[1]

ويقول صاحب مفردات القرآن: "وقيل: العرم الجرذ الذكر، ونسب إليه السيل من حيث إنه نقب المسناة"[2] .

ويظهر أن سبأ المذكور في المعجمات، أو في حديثه عليه السلام رجل، كان يحكم قومه، وقد عاقب الله هؤلاء القوم بسبب الشرك الذي وقعوا فيه وكفر النعمة، فبعث الله عليهم الجرذ لينقب عليهم السد بسبب ما فعلوا. وقد ضربت العرب المثل في الفرقة؛ لأنه لَمَّا أَذْهَبَ اللّهُ عنهم جَنَّتَهم، وغَرَّقَ مكانُهُم تشتتوا في البلاد.

وعند النظر في الآية الكريمة الواردة في سورة سبأ من قوله تعالى : "فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَي أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ"[3] .

نجدها ذات صلة بمضمون المثل السابق، حيث ربط الله تعالى بين الإعراض وزوال النعمة، وبين الحمد ودوام النعمة، فدوام النعم مرهون بشكرها، وزوال النعم مرهون بكفرها، فلمّا غضب الله عليهم شتتهم في البلاد، ودمّر عليهم مساكنهم.

---

(1) لسان العرب (عرم) .

(2) مفردات القرآن 1:595.

(3) سبأ 16.

وعند النظر في الناحية الدلالية للمثل، يظهر التشبيه فيه، وذلك قولهم ذَهَبُوا أَيْدِي سَبَأ أي مشتتين فقد شُبِّهُوا بأَهلِ سَبَأ لَمَّا شتتهم اللّه في الأَرض، فأَخذ كلُّ طائفةٍ منهم طريقاً على حِدةٍ، فقد شبه القوم الذين تشتتوا عن ديارهم، وتفرقوا تفرقا لا اجتماع بعده، بصورة قوم سبأ الذين تشتتوا وتفرقوا تفرقا لا اجتماع بعده.

ويظهر أن هذا المثل يُضرب للقومِ الذين كفروا النعمة وأنكروها، فإذا ما قصد المرء الكلام على قومٍ بالثبور والهلاك والتفرق بسبب كفران النعم التي أعطوها، قال: تفرقوا أيدي سبأ.

واليَدُ تنزل في هذا المثل منزلة الطَّرِيق. وفيه دقة المثل العربي التي تستقى من قولهم أيدي سبأ، فدلالة الجمع فيها إشارة إلى التعدد والفرقة، ولم يأتِ المثل باليد مفردة؛ لأن المفرد منها يوحي بالقلّة، خلافًا لما يشعره الجمعُ في الدلالة، فقد ذهبوا جميعًا.

أمّا الجملة الفعلية الأولى في المثل "ذهبوا أيدي سبأ" فتوحي بأنهم ذهبوا مجتمعين في أصل الموضع، ولم يقع بينهم الشتات حال الاجتماع، ولكن الجملة الثانية من المثل "تفرقوا أيدي سبأ" توحي بأنهم تفرقوا كلهم دون استثناء أحدهم، فكما اجتمعوا جميعا، فقد تفرقوا جميعا، وعند النظر في الضمير المتصل في قوله: ذهبوا وتفرقوا فإن الضمير العائد على المعنى الذهني المقصود يوحي بأن سبأ كان يحكم من دونه من القوم، أو يصدق القول فيه أنه اسم لقبيلة، ويبعد القول فيه أنه اسم لموضع أو غيره.

رُبَّ أَخٍ لَكَ لَمْ تَلِدْهُ أُمُّكَ[1] :

وهذا المثل يُضرب في رجل أحسن إليك، وعدَّ نفسه أخًا لك بأفعاله، علمًا بأنه ليس من صلب أبيك ومن نسبك، وأول من قال المثل هو لُقْمَان بن عَاد. وقصّته أنّه أقبل ذاتَ يومٍ يسير فأصابه عَطَش، فهجَم على مِظَلَّة في فنائها امرأة تُدَاعب رجلا، فاستسقى لقمان، وقال: فبينا أنا كذلك إذ نظرتُ إلى صبي في البيت يَبْكي فلا يُكْتَرَث له، ويَسْتَسقِي فلا يُسْقى، فقال: إنْ لم يكن لكم في هذا الصبي حاجة دفَعْتُمُوه إلي فكَفَلْته، فقالت المرأة: هو ابني، ثم سألها عن الرجل قائلاً: من هذا الشاب إلى جنبك، فقد علمته ليس ببعلك؟. قالت: هذا أخي!. قال لقمان : رُبَّ أَخٍ لَكَ لَمْ تَلِدْهُ أُمُّكَ! فذهبت مثلا[2] .

وربما حمل هذا المثل أكثر من معنى، المعنى الذي أراده لقمان حين فاجأ المرأة بأمرها، ووضّح لها بأن هذا الرجل الموجود في بيتها ليس من أهل البيت كما ادعت، ومعنى آخر شاع عند الناس واستفاض، وهو أن من الناس من لم تلده أمك في الحقيقة، ولكنه مع ذلك بمثابة الأخ الحقيقي لك، لما قدّم وأحسن معك في تعامله وأخلاقه، وربما نستطيع استقاء هذا المعنى من خلال ما قدّم لقمان لهانيء (زوج المرأة) من النصيحة، لأنه أسدى له نصيحة، وأعلمه بوجود غريب في بيته، لم يكن يعلم عن أمره شيئا.

---

(1) مجمع الأمثال 291:1 (1546) ، جمهرة الأمثال 425:1، زهر الأكم 36:3 ، كتاب الأمثال ص 175.

(2) انظر تفاصيل القصة في مجمع الأمثال 291:1 وما بعدها.

وإذا أردنا أن نبحث في المعنيين، وأخذنا المعنى الأول الذي رمى إليه لقمان، وهو أن هذا الغريب ليس من أهل المرأة، ولا من قرابتها ومع ذلك ادعت أنه قريبها، فإن أول ما يطالعنا من اللفتات البيانية، استخدام النفي في قوله: (لم) فقد وضح باستخدام النفي أن هذا القريب الذي ادعت المرأة أنه قريبها ليس بقريب، وربما حمل المثل أيضا أسلوب استنكار وتعجب، تظهر دلالته من خلال السياق. ويتضح أيضا أن الأخوة الحقيقية ليست مقصورة على النسب والدم، وإنما ظهر لك إخوة آخرون، ليسوا من نسبك ودمك، ولكنهم بأفعالهم أضحوا كإخوة لك، فقد نفى أن تُقصر الأخوة الحقيقية على قرابة الدم فقط، وإنما توجد في مواطن أخرى بأفعال لا تظهر في النسب، وهذا المنهج مسلوك بين الناس، وقد علمنا بوجود مواقف بين الناس، يتخلى فيها الأخ عن أخيه، ليسجل فيها الغريب موقف الأخ المفقود في هذا الموقف، وإن هذا المظهر موجود في القرآن والسنة، حيث قال تعالى: "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ (1)".

فقد ساوى الله بين المؤمنين في الأخوة في الدّين، وبين أنهم إخوة لا من قرابة رابطة دم ونسب، بل من رابطة أسمى وأرفع، وهي رابطة الدين.

وهذه الرابطة فقد بدت واضحة وضوح شمس النهار في أفعال النبي عليه السلام، ومنها فعله في توحيد المهاجرين والأنصار، وإرساء قواعد المحبة والأخوة الحقيقية في المجتمع، فقد عمد عميد هذه الأمة إلى المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار؛ ليعلي بذلك رابطة الدين على روابط جاهلية

(1) الحجرات 10.

بدعية كثيرة، وليثبت بفعله عليه السلام، أن الأخوة الحقيقيّة ليست مقصورة على أخوة النّسب.

" ورُبَّ للتكثير كثيرا، وللتقليل قليلاً، فالأولُ كقوله عليه الصلاة والسلام: "يَا رُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" . وقول بعض العرب عند انقضاء رمضان: "يَا رُبَّ صَائِمِهِ لَنْ يَصُومَهُ وَقَائِمِهِ لَنْ يَقُومَهُ، والثاني كقوله:

أَلاَ رُبَّ مَوْلُودٍ وَلَيْسَ لَهُ أَبٌ وَذِي وَلَدٍ لَمْ يَلْدَهُ أَبَوَانِ

(1)

يريد بذلك آدم وعيسى عليهما الصلاة والسلام ".

وفي المثل استعمل حرف (رب)، بما يفيد التقليل، والمعنى أن عدد الإخوة الذين يُعدون كإخوتك من النسب قليل، وإذا ما دققنا النظر في الاستعمال التركيبي للمثل فقد تضمن تركيبًا مزدوجًا هو التشبيه المصحوب بالنفي، فرب حرف جر زائد، أفاد معناه التركيبي في المثل التشبيه، فكم أخًا لك تعده كأخي النسب؟ إنهم بالنظر إلى المجموع العام للناس قليل، فمنزلة التشبيه توحي بالقلة فيها، إضافة إلى النفي المصحوب في العبارة ليثبت المعنى نفسه، وهو قلة الإخوة المعدودين كأخي النسب.

وأما وجود شبه الجملة (لك) فإنه يوحي بالاختصاص، فقد خصصت شبه الجملة المصحوبة بلفظ اللام بتخصيص الأخ لك دون غيرك، وقد طابق المثل نظام العربية وسننها في الاستعمال، حيث استعمل

(1) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك 51:3.

المثل (رب) مع الاسـم النكـرة، وفي هـذا مطابقـة لنظـام العربيـة، حيـث اختص حرف رب بالدخول على النكرات.

رُبَّ رَمْيَةٍ مِنْ غَيْرِ رَام [1] .

أول من قال هذا المثل الْحَكَم بن عَبْد يَغُوث المنقري.

وهذا المثل يُضرب فيمن رمى شيئا بالخطأ فأصابه. وقصة المثل هي أن الحكم كان أرمى أهلِ زمانه، وآلى يمينا ليذبَحَنَّ على الغَبْغَبِ [2] مَهَاة، فحمل قوسَه وكِنانته، فلم يصنع يومه ذلك شيئاً، فرجع كئيباً حزيناً، وبات ليلته على ذلك، ثم خرج إلى قومه، فقال: ما أنتم صانعون فإني قاتلُ نفسي أسفاً إن لم أذبحها اليوم؟ فقال له الحُصَيْن بن عبد يَغُوث أخوه: يا أخي استبدل مكانها عَشْراً من الإبل، ولا تقتل نفسك، قال: لا واللاتِ والعُزَّى لا أظلم عاترة [3] ، فقال ابنه المُطْعِمُ بن الحكم: يا أبي احملني معك أرْفِدْكَ فقال له أبوه: وما أحمل من جَبان فشل، فضحك الغلام، وقال: إن لم ترها ميتة فاجعلني مكانها في الذبح، فانطلقا فإذا هما بمَهَاة فرماها الحكمُ فأخطأها، ثم مرت به أُخرى فرماها فأخطأها، فقال: يا أبي أعْطِنِي القوسَ، فأعطاه فرماها فلم يخطئها، فقال أبوه: رُبَّ رميةٍ من غير رَامٍ [4] .

---

(1) مجمع الأمثال 299:1 (1581)، جمهرة الأمثال 491:1، زهر الأكم 38:3، العقد الفريد 84:3، الفاخر ص 143، فصل المقال ص 43، اللسان (غبب).

(2) الغبغب: المَنْحَر وهو جُبَيْلٌ بمِنىً فخَصَّص . وقيلَ : هو المَوْضِع الّذي كَانَ فِيهِ اللاَّتُ بالطَّائِف، أو كَانُوا يَنحَرُون لِلاَّتِ فِيهِ بها، وقيل: كُلُّ مَنْحر بمنىً غَبْغَبٌ .

(3) العِتْر والعَتِيرة شاة كانوا يذبحونها في رجب لآلهتهم، مثل ذِبح وذَبيحة، وعَتَرَ الشاةَ والظبية ونحوهما يَعْتِرُها عَتْراً ،وهي عَتِيرة : ذَبَحها ، والعَتِيرةُ أَول ما يُنْتَج كانوا يذبحونها لآلهتهم.

(4) انظر مجمع الأمثال299:1.

والمعنى المقصود من المثل السابق أن الشخص قد رمى رمية فأصاب الهدف، وإن كانت هذه الرمية قد حصلت من رامٍ مخطىء.

وأول ما يطالعنا في هذا المثل لفظة (رب)، فرب يجوز أن يُقال في لفظها ربَّ ورُبَّة وربّما ورُبَّتما، وقد ورد تخفيف الباء منها في القرآن الكريم، حيث وقع ذلك في قوله تعالى: "رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ (1) ".

وأول ما يطالعنا من اللفتات اللغوية في هذا المثل استعمال حرف الجر رب، فقد أفاد التكثير، وكما هو معلوم فإن حرف الجر رب إما أن يفيد التكثير، وإما أن يفيد التقليل، ويُعرف ذلك من خلال القرينة الواردة في سياق الجملة التي استعمل فيها، وإذا نظر الفاحص للمثل في استعمال رب في هذا الموضع، علم أنها أفادت التكثير؛ لأن هذه الرمية المرمية وقعت على غير المتوقع في علم المُشَاهِد، ومع ذلك أصابت الهدف، فأطلقها مثلا: رب رمية من غير رام؛ لأنها على خلاف المتوقع.

ومن الاستعمالات اللغوية في هذا المثل أيضا مصدر المرة، فقد استعمل المثل مصدر المرة في قوله:(رمية) ؛ ليدلل على أن هذا الرامي قد أصاب الهدف من الرمية الأولى، وفيه إشعار للسامع من إصابة الهدف من المرة الأولى، علما بأن المتوقع خطؤها، فجاء مصدر المرة ليؤكد على تلك الإصابة من الرمية الأولى، وخطأ المشاهد للرمية الذي اعتقد أن رامي الهدف لن يصيبه.

---

(1) الحجر 2.

وفي النظر إلى كلمة (غير) المستعملة في المثل، فإننا نلحظ أنها من الكلمات الموغلة في النكرة والإبهام، فلا يظهر معناها إلا إذا أضيفت إلى سياق كلام يوضحها، وقد وضحها لحاق المثل: من غير رام.

وزيادة على ذلك فإن غير تدل على مخالفة ما بعدها لما قبلها، وفي ذلك مزيد الدهشة والعجب من الرامي الذي أصاب الهدف، فإن المتوقع منه عدم القدرة على إصابة الهدف، ومع ذلك أصابه لتأتي في المثل في موضعها الصحيح في الدلالة، ولتدل على خلاف المتوقع فعلا؛ لأن الرامي أصاب هدفه خلافًا لما يتوقعه المشاهد أو السامع.

ومن المسائل المتعلقة بغير أيضًا أنها لا تُعرَّف، فلا يُقال الغير، وإنما يُقال غير، وتعرف غير إذا قُصد بها معنى الآخرين، فنقول: لا تنظر لأمور الغير.

وقد تطرأ على صيغة (فاعل) عوارض صوتية تنشأ من ظاهرة إعلال أو التقاء ساكنين، أو من ظاهرة إدغام"[1]. وقد استعمل المثل هذه البنية التركيبية في قوله (رام)، حيث وقع فيها إعلال بالحذف، حيث كان أصلها قبل الحذف (راميٌ)، ولكن لثقل الحركة على الياء حذفت للتخفيف، والتقاء الساكنين (الياء والتنوين) كان سببًا في حذف الياء.

فاسم الفاعل المشتق من الفعل رمى في قوله: (رامٍ)، قد صيغ اسم الفاعل من الفعل الناقص بحذف يائه، وتعويضها بتنوين العوض، ليدل على الجملة المحذوفة من خلال التنوين، وهذه الجملة التي تُفهم دلاليًّا من خلال السياق العام للمثل وهي: أصابها الرامي، ليدمج البلاغة في

(1) المغني الجديد في علم الصَّرف ص248.

الاستعمال التركيبي للمثل، لأن المحذوف مفهوم ضمني دلّ عليه السياق الوارد في المثل؛ ليسجل منحى بلاغيًا آخر وهو الحذف والإيجاز والقَصْر.

وبهذا أتم الجانب الصرفي في قوله: (رامٍ) الجانب البلاغي في المثل الوارد في الحذف ، لتتكامل البنية التركيبية في المثل، ويدعم كل جانب من الجوانب البلاغية والصرفية الجانب الآخر ويقويه.

سُقطَ فِي يَدِهِ[1]:

وقال السيوطي في المزهر: "سُقط في يده أي ندم[2]"، فهو مثل يُضرب لمن ندم.

وقال أبو عمرو: لا يقال "أُسْقِط" بالألف على ما لم يُسَمَّ فاعلُه، وكذلك قال ثعلب، وقال الفراء والزجاج: يقال سُقِط وأُسْقِطَ في يده، أي ندم. قال الفراء: وسُقِط أكثر وأَجْوَد[3].

وهذا المثل يذكّرنا بقوله تعالى: "وَلَمَّا سُقِطَ فَي أَيْدِيهِمْ"[4].

حيث بين الله تعالى شدة الندم والحسرة التي وقع فيها بنو إسرائيل، لعبادتهم العجل بعد موسى عليه السلام، فلمّا وقعوا في حكم موسى عليه السلام علموا عِظم الذنب الذي وقعوا فيه.

وهذا الاستعمال اللغوي لم تعهده العربُ قبل القرآن الكريم، ويشير السيوطي إلى ذلك بقوله: "سُقط في أيديهم نظم لم يسمع قبل القرآن، ولا عرفته العرب، ولم يوجد ذلك في أشعارهم، والذي يدل على هذا أن شعراء الإسلام لما سمعوه واستعملوه في كلامهم خفي عليهم وجه الاستعمال، لأن عادتهم لم تجْر به"[5].

وفي قوله تعالى: وَلَمَّا سُقِطَ فَي أَيْدِيهِمْ" يقول الشوكاني: "أي ندموا وتحيروا بعد عود موسى من الميقات، يقال للنادم المتحير: قد سقط في

(1) مجمع الأمثال 330:1 (1774)، اللسان (سقط).

(2) المزهر 205:2.

(3) انظرمجمع الأمثال 330:1.

(4) الأعراف : 149.

(5) المزهر في علوم اللغة 206:2.

يده قال الأخفش: يقال: سقط في يده وأسقط، ومن قال: سقط في أيديهم على البناء للفاعل غمًّا، فالمعنى عنده: سقط الندم، وأصله أن من شأن من اشتد ندمه وحسرته أن يعض يده غمًّا، فتصير يده مسقوطا فيها"[1].

وأول ما يطالعنا من اللّفتات البيانية في هذا المثل استعمال المجاز، فقد كنّى المثل عن الندم الشديد والحسرة التي يقع فيها النادم، بصورة الرجل الذي سُقط من يده الشيء، فلا يُستطاع الإتيان به تارة أخرى، فكأنه وضّح صورة ما يحصل في اليد وتراه العين، وإن لم يكن حقيقة قد حصل في يده. ولأن النادم إذا ما اشتد به الندم عض على يده غمًّا، فتصبح يده مسقوطا فيها، ويقول الطبري في ذلك: "تقول العرب لكل نادم على أمر فات منه، أو سلف وعاجز عن شيء: قد سقط في يديه، وأصله من الاستئسار، وذلك أن يضرب الرجلُ الرجلَ أو يصرعه فيرمي به من يديه إلى الأرض ليأسره، فيكتفه، فالمرمي به مسقوط في يدي الساقط به، فقيل لكل عاجز عن شيء، وضارع لعجزه متندم على ما قاله: سقط في يديه[2]" .

وربما حمل المثل دلالة أخرى، حيث شبه صورة الشيء الذي سُقط في يده، بصورة الشيء الذي وقع له ولم يُحسن التصرف فيه في نفسه، ولمّا علم حقيقة الأمر ندم على ما وقع منه، فكأنه سقط في يده شيء، ولم يحسن استغلاله فندم وتحسر، فشبه ما يدور ويحصل في النفس، بما يقع في اليد فتراه العين المُشاهدة. وأما النواحي اللغوية التي تظهر في المثل

---

(1) فتح القدير 361:2.

(2) تفسير الطبري 36:6.

فمنها استعمال الفعل المبني للمفعول، فقد استعمل المثل لفظة (سُقط ؛ ليشعر بأثر الذي سُقِطَ ، وآثر بناء الفعل للمجهول؛ لأن الأمر لم يعد يُستطاع الرجوع إليه تارة أخرى ، لفواته وبعده عن الإنسان.

وأما ذكر اليد فلأن النادم يعضُّ على يديه ويَضْرِبُ إحداهما بالأخرى تَحَسُّراً كما أشار إلى ذلك قوله تعالى: "وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ[1] "، وكما قال: "فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا[2] "، وبهذا نلحظ دقة الاستعمال القرآني الذي سبق الاستعمال اللغوي، فقد عبّرت الآية الأولى عن الندم بالعض على اليدين؛ لأن الإنسان إذا ندم على ما فاته، وتحسر الحسرة الشديدة، عض على يديه، وإذا ما أصيب الإنسان بندم وألم حسرة، ضرب الأخماس بالأسداس حسرة على ما فاته، وأما وجه الكلام في قوله تعالى: "فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا" فهو الندم يحصل في القلب، ويظهر أثره في الجوارح ، ولذلك استعمل تقليب الأيدي وضربها للدلالة على ما شعر فيه بالقلب، ولأن يد الإنسان في بعض الأحيان لم تباشر العمل حقيقة، ومع ذلك يسند إليها ما لم تباشره؛ ليظهر أثر الندم على الإنسان، وأن ذلك من كسب يده، وقد درج هذا الاستعمال في التنزيل كثيرًا، ومنه قوله تعالى: "ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ[3] "، ومعلوم بالضرورة أن الإنسان لا يأتي كل أعمال السوء والفحشاء بيديه، وإنما يأتي بها من خلال الجوارح كلها عامة.

---

(1) الفرقان 27.

(2) الكهف 42.

(3) الحج :10.

أشأَمُ مِنْ غُرَابِ البَيْنِ[1]:

هذا المثل ضربته العرب في التشاؤم. وقال الزمخشري: ليس في الأرض شيء مما يتشاءمون، إلا والغراب عندهم أنكد[2]، وقد سماه العرب غراب البين؛ لأن الغراب إذا بان أهلُ الدَّار للنُّجْعة وقَع في موضع بيوتهم يتلمس، فتشاءموا به وتطيروا منه، إذ كان لا يعترى منازلهم إلا إذا بانوا فسموه غراب البين[3]، ومن أجل تشاؤم العرب بالغراب اشتقوا من اسمه الغربة والاغتراب والغريب، وذكر بعضُ أهل المعاني أن نَعِيبَ الغُرَاب يُتَطير منه، ونَغِيقه يتفاءل بـه، وأنشد قول جرير:

إن الغُرَاب بِمَا كَرِهْت لَمُولَعٌ ... بِنَوَى الأحِبَّةِ دَائِمُ التّشْحَاجِ

لَيْتَ الْغُرَابَ غَدَاة يَنْعَبُ دَائِباً ... كان الغُرَابُ مُقَطَّعَ الأوْدَاجِ[4]

قال: ويقال "نَغَقَ الغرابُ نَغِيقا" إذا قال: غيق غيق، فيقال عندها: نغق بخير، ويقال: نَعَبَ نَعيبا، إذا قال: غاق غاق فيقال عندها: نَعَبَ بشرّ[5].

وإذا ما قمنا بإدارة البحث حول الغراب في المصنفات اللغوية والمعجمات، فسنجد أن أصحابها أدرجوا فيه الصفحات الكثيرة لبيان التشاؤم منه والتطير، ولكن لا يخفى على أحد منّا أن العقيدة الإسلاميّة جاءت لتغيّر هذه المفاهيم الضالة، فقد قامت مفاهيم التشاؤم والتطير

(1) مجمع الأمثال 1:383 (2042).

(2) انظر المستقصى في أمثال العرب 1:183.

(3) انظر مجمع الأمثال 1:383.

(4) ديوان جرير ص73.

(5) مجمع الأمثال 1:384.

من الغراب على أساس غير سليم، وبهذا فلا يجوز إقامة مثل هذه الأحكام على أحكامٍ جاهليّة، وخرافات بالية، لا تسمن ولا تغني من جوع.

وقد نهى الإسلام عن التَّطير والتشاؤم في مواطن كثيرة من الشريعة الغراء، ومنها الحديث الذي ساقه البخاري في صفات من يدخل الجنة بغير حساب، أنّهم لا يتطيرون، في جملة صفات أخرى.

وقد ربّت الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة قاعدة إيمانية عريضة لمن آمن بالله وحده، فلا يقع شيء في ملكوت الله عز وجل إلا بما أراد، وهو نهج آمن به أصحاب العقول النيرة المضيئة، لاعتقادهم بعقيدة القضاء والقدر. وقد وقع الشاهد الوارد في قوله تعالى؛ ليعتضد الدليل بالدليل، في أنه لن يصيب الإنسان إلا ما كتب له الله، ولا تأكيد بعد قوله تعالى: "قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللّهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ "(1) .

وبهذا فقد بيّن الله تعالى أن المكتوب سيقع مهما كان السبب، فلا رادَّ لقضاء الله تعالى، وفي حقيقة الأمر فإن هذا المنهج يوقع في الإنسان طمأنينة محضة، فلم يعد يعتمد على التطيّر والخرافات والبدع.

وأول ما يطالعنا من اللفتات البيانية، استعمال لفظة (الغراب)، فقد أوحى بدقة الاستعمال التركيبي في المثل، فلم يستعمل الـمثل أي طائر، وإنما عمد لاستعمال الغراب لما في وجهه من القبح والسوء؛ ولأن اسمه

(1) التوبة: 51.

مشتق من الغربة، وبذلك يوحي بعمق الصورة المخيفة فيه، فالغربة توحي بالوحشة والدهشة.

ومن اللفتات اللغوية التي وردت في المثل، التركيب الإضافي في قوله: غراب البين؛ لأن هذا التركيب يوحي بوقوع الإضافة في مكانها، فقد أضاف الغراب إلى البين والبعد، ولعل الاشتراك الواقع بين الغراب ومضافه واضح؛ ولذا وقع الاختيار عليه، وأمّا اختيار طائر الغراب دون غيره من الطيور فقد طابق الاستعمال التركيبي في المثل، ولهذا فقد استعمل الغراب لاستدعاء الصورة المتمثلة به من قبح الصوت والصورة التي يحملها.

وقد وقع في الاستعمال التركيبي للمثل فقد وقعت صيغة المقارنة بين الغراب وغيره من الطيور، والمعنى المقصود ليست المقارنة الحقيقية بمعنى التفضيل أي تفضيل شيءٍ عن شيءٍ، وإنّما وقوع المقايسة بين قبح صورة الغراب وغيره، وبروز قبح صورة الغراب على غيره من الطيور، التي تحمل الصورة القبيحة.

" والأصل في اسم التفضيل أن يكون المفضَّل والمفضَّل عليه مختلفين بالذات؛ ففي صورة الاتّحاد ضعف المعنى التفضيلي، فهذا شيء يؤيده العقل البشري، ويؤيّده المنطق الذي يعلم أنَّ المفاضلة تقع بين طرفين مختلفين، وليست بين شيئين مترادفين "[1]، ونلحظ أنَّ التفضيل في المثل، قد احتل مكانة متميزة على المستوى التركيبي والدّلالي، فقد قابل قبح الصورة بأقبح ما تُقابل؛ ليوضّح عمق الصّورة.

(1) التعليل النحوي في الدرس اللغوي ص67.

وإذا ما دققنا النظر في صوت الشين الانتشاري المتفشي المهموس، فيلاحظ أن حرف الشين وقع فيه ساكنا غير متبوع بصائت؛ ليعطي مزيدا من البعد الانتشاري، ويزيد في البعد الإيقاعي له، وهذا الصوت قد أخفى شيئا من انتشار رقعة المثل بين الناس لمجرد رؤية الغراب من جانب، ولانتشار رقعة التشاؤم من جانب آخر، وغياب مساحة التفاؤل، وكأن إحساس التشاؤم قد امتلك قلوب الناس وإحساسهم لمجرد رؤية الغراب، أو النظر إليه، وإذا وقفنا على صيغة (أشأم) من حيث الدلالة الحسّية، فإنها تدل على صلة واتّصال بين ما ضُرب به المثل، وما أُريد لتلك الصورة من القبح. وفي هذا يقول إبراهيم أنيس: الشؤم ضد اليمين، والسود من الإبل. حتّى ينتقل إلى قوله: وبهذا فهل وقع نقل الدلالة إلى مجال المحسوسات؟ إنه يدل على صلة واتّصال بين الدلالتين في المكانيّة والزّمانيّة(1).

وبهذا المعنى يظهر تطابق قبح صورة التشاؤم الواردة في المثل، بصورة سواد الغراب – طائر الشؤم عند العرب – ليقع التطبيق في المكان الذي وُجد فيه، والزمان الذي وُجد فيه، فالنّاس يتشاءمون من المكان والوقت الذي يظهر فيه.

---

(1) انظر دلالة الألفاظ ص165.

عَلَى أَهْلِهاَ تَجْنِي بَرَاقِشُ[1]:

يُضرب المثل لمن يعمل عملا يرجع ضرره عليه.

وقد روى الميداني عدة روايات للمثل وهي، أن بَرَاقِشُ كلبة لقوم من العرب، فأغير عليهم فهَرَبُوا ومعهم بَرَاقِش، فاتبع القومُ آثارَهُم بنُبَاح بَرَاقِش، فهجموا عليهم.

ورُويَ إن براقش امرَأة كانت لبعض الملوك، وكان لهم موضع إذا فَزِعوا دخَلُوا فيه، فإذا أبصره الجند اجتمعوا، وإن جواريها عبثن ليلة فَدخَّنَّ، فجاء الجند، فنصحها البعض إن ردّت الجند دون طلب، فلم يرجعوا لحاجتها أبدًا، فأمرتهم بصنع بناء قرب القصر، فلمّا شاهد الملك ذلك، سأل عنه، فقالوا: هو لبراقش، فَقَال: على أهْلِها تَجني بَرَاقش فصارت مَثَلاً.

وقَال الشرقي بن القطَامي: براقش امرَأة لقمان بن عاد، وكان لقمان لا يأكل لحوم الإبل، فدفع له بعرقَ من جزور فأكله لقمان دون أن يعلم، فَقَال: ما هذا؟ فما تَعَرَّقْتُ قط طيباً مثله، فلمّا علم لقمان ذلك أقبل لقمان على إبلها فأسرع فيها وفي إبل قومها، وفَعَلَ ذلك بنو أبيه لما أكلوا لحوم الجزور[2]، وأيًّا كان الأمر في رواية المثل، فإن معاني الروايات السابقة كلها تصب في معنى واحد، ألا وهو من فعل صنيعًا، وعاد صنيعه عليه بالضرر.

---

(1) مجمع الأمثال 14:2(2427)، أمثال العرب ص 151، جمهرة الأمثال 52:2، فصل المقال ص495، كتاب الأمثال ص 333، اللسان (برقش).

(2) انظر فيما سبق : المجمع 14:2.

ومن المفيد الإشارة إلى أن هذا المثل عند النظر فيه للوهلة الأولى، يحمل دلالتين يمكن تصورهما، الأولى هي أن الإنسان ربما صنع صنيعًا، حسنًا وعاد عليه الصنيع بالضرر والشر، لأنه ربما صنع هذا المعروف في غير أهله، والثانية المتصورة هي أنه صنع صنيع سوءٍ، وعاد عليه صنيعه بما فعل من السوء. وقد شاع لدى الناس أن مفهوم المثل هو من فعل السوء، لقي جرّاء فعلته السوء، ولكن عند الرجوع إلى الروايات التي رُويت في شرح المثل لا يظهر لنا معنى أن من فعل السوء لقي جرّاء فعلته السوء، ولكن شيوع المعنى قد جاء من شيوع العرف في الناس، حيث تعارف الناس على أن الإنسان يجني على نفسه بتصرفات أولى به ألا يفعلها، وربما فعل الإنسان عملا جنى عليه السوء والعقاب، ولكنه لمّا ارتكب الفعل كان بجهلٍ منه دون علم، وبهذا فقد جرَّ عليه جهله الشر، وفي هذا إشارة إلى وجوب التفكر في الأمور وحسابها قبل التصرف.

ويعكس هذا المثل من الجوانب التربويّة الكثير، ففيه دعوة إلى تأمل الإنسان تصرفاته وأفعاله قبل أن يفعلها، لما في ذلك من حسْن النتائج والعواقب، ومن الجوانب التربوية التعليمية التي يغطيها المثل، أن وزن الأعمال يكون على قدر النتائج، فمن فعل الخير، لقي جزاء فعلته الخير والمعروف، ومن فعل الشر، لقي جزاء فعلته الشر والسوء.

ويطالعنا من اللفتات البيانية في هذا المثل، التصوير المتمثل بفعلة براقش ومن فعل صنيعها، فقد صوّر المثل فعلة براقش وما آلت إليه نتائج فعلتها، بصورة من فعل أمرًا معيّنًا ولقي جزاء فعلته السيئة الشّر، والمعنى المرميّ إليه أنَّ صانع الشّر لا بُدَّ وأنْ ينال جزاء فعله السوء، لأنَّ الشر لابُدَّ وأن يَرْجع على صاحبه.

وأما اللفتات اللغوية التي تظهـر في المثل، فتتمثَّل التقديم والتـأخير، فقد أُخرت الجملة الفعلية: جنت براقش وقدم عليه، شـبه الجملـة: علـى أهلها، وفي هذا التقديم يُظهر لنا المثل أهمية المقـدم، وأن المتضـرر الأكـبر من وقع عليه فعل الفاعل، فإذا مـا قـيس الضـرر الواقـع علـى الطـرفين المتضرر والمتسبب بالضرر، علمنا أن الضرر الواقـع علـى الجماعـة، أبلـغ من الضرر الواقع على الفرد الذي تسبب بالضرر.

" وقد ورد المثل في قول حمزة بن بيض:

لم تكن عن جناية لحقتني لا يساري ولا يميني رمتني

بل جناها أخ عليَّ كريم   وعلى أهلها براقش تجني

وقد سبّق المثل، وقدّم شبه الجملة (على أهلها) على الفعل (تجـني)، وقد قدمت لـذلك التفسـير؛ فـإن جماليـات الاسـتعمال الـدلالي وقعـت منصبّة على من وقع عليه ضرر براقش. ولكن تجـرّأ الشـعر مـرتين فقـدّم شبه الجملة (على أهلها) على الفعل تجني، ثم قدّم الفاعل: بـراقش علـى الفعل نفسه، فالشعر أكثر جرأة في انتهاك الأنماط التركيبيّة المألوفة "[1].

وإذا ما دققنا النظر في ذلك، وجدنا أنَّ دوال المعاني على الألفاظ، قد سيطرت على المثل تارة، وعلى الأبيـات الشـعرية تـارة أخـرى، فالعمـدة للفظ، فقد تحكّم اللفظ في تنظيم ألفاظ البيت وتنسيقها. وهذا لا يمنع مـن النظر إلى دور المعاني الدلاليّة في الأبيـات، ومـا تؤديـه مـن وظـائف. وفي بروز شبه الجملة أيضا يظهر لنا تعلقها بالمحـذوف، وهـذا المحـذوف مـا دل عليه المثل وهو فعلتها، أي أصبح المعنى المقصود هو: تجـني بـراقش علـى

(1) الخصائص الأسلوبيّة للمثل ، ص60 وما بعدها.

أهلها بفعلتها، وأما بالنظر إلى الجملة الفعلية تجني براقش، فهي تُظهر أيضا من خلال استعمال الفعل المضارع أن الفعل دائم التكرار، وأنه لا يقف عند براقش وحدها ، وإنما سيقع من غيرها أيضا.

وأمّا على رواية المثل بلفظ الفعل الماضي: على نفسها جنت براقش، فقد عُلم من ذلك أنَّ فعلتها وإن وقعت في الماضي وانصرمت، ولكن صنيعها فاض واشتهر حتّى أضحى مثلا يُضرب للمستقبلِ، وفي ذلك ما يشعر بأن الماضي وإن قُدِّر له الانتهاء ،ولكنه يحيا بالتقادم مع مرور الزمن حين تتشابه الأفعال، وتُصبح مثلا يُضرب بعضها ليقوي بعضها الآخر.

والحديث عن المستقبل بصيغة الماضي أسلوب درجت عليه العربيّة، واستُعملَ في التنزيل الحكيم في مواطن عديدة.

ويمكن ملاحظة عودة الضمير في قوله (أهلها) على متأخر وهو (براقش)، والأصل في الضمير أن يعود على متقدم، ولعل في ذلك إشارة إلى أن الأمر بدأ من عندها وينتهي إليها.

انْصُر أَخَاكَ ظَالماً أو مَظْلُومًا [1]:

هذا المثل أصله من حديث شريف، قاله الرسول صلى الله عليه وسلم، فقيل له: يا رسول الله، هذا ننصره مظلوما، فكيف ننصره ظالما؟ فقال: تمنعه من الظلم[2]. وللعرب مذهب في النصرة على كل حالٍ، وقد أورد الميداني[3]أول من قال هذا المثل، وهو جندب بن العنبر، في هذا البيت:

يا أيها الكريم المشكوم انصر أخاك ظالًما أو مظلوم

ويُفهم من حديثه عليه الصلاة والسلام بوضوح أن نصرته ظالما، إنما تقع بمنعه من الظلم، أما مذهب العرب فكانت النصرة على أي حال، إن كان ظالما أو مظلوما، وعند النظر في المثل نجد عبارته للوهلة الأولى تحمل دلالتين، وهي نصرة الأخ إن كان ظالما أو مظلوما، وقد طابق المثل نص الحديث، ولمّا سمع الصحابة ذلك وقعوا في العجب، فسألوا عن ذلك، فبيّن لهم الرسول الكريم أن النصرة الحقيقية في نصرته مظلومًا، أما في حال كونه ظالما، فتقع النصرة بالأخذ على يده، وذلك بمنعه من الظلم، لا إعانته على الظلم، وفي هذا إشارة إلى بلاغة النبي صلى الله عليه وسلم، وقد وردت العبارة على هذا النحو لكي تقع راسخة في العقول والأذهان.

---

(1) مجمع الأمثال 334:2 (4202).

(2) مسند الإمام أحمد 99:3.

(3) انظر تفاصيل القصة في مجمع الأمثال 334:2 وما بعدها. والمشكوم من الشكيمة ، الشَّكِيمَةُ: الأَنَفَةُ والاِنْتِصارُ من الظُّلْمِ والعَهْدُ . وشَكَمَهُ شَكْماً وشَكِيماً : عَضَّهُ.

ومّما يُشار إليه أيضًا أن هذا المثل عالج ضربا من ضروب التفكير، حيث أشار المنهج التربوي النبوي إلى حقيقة النصرة، لا كما اعتقدها العرب وسارت بينهم، أضف إلى ذلك أن الصحابة رضي الله عنهم قد أشاروا إلى المنهج التعليمي السليم ، وهو السؤال عن الإشكال الذي وقعوا فيه من خلال الفهم المتبادر إلى الأذهان أولا، وفيه أن واجب المتعلم سؤال المعلم عن كل إشكال ذهني وقع له لصعوبة فهم الكلام عنده، أو حتى لو تبادر الخاطر للفهم الأول الذي أخطأه العقل عند سماعه، فلا يذهبن بك الخاطر إلى المتبادر أولا دون التفكير به وتمحيصه.

ومن القضايا التي يعالجها المثل أيضا قضية عقدية محضة ، أشار إليها القرآن الكريم، وهي منتزعة من قوله جل جلاله: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ"[1] .

وفي هذه الآية إشارة واضحة المعالم، أضاءت الطريق للعقول التي تربع عليها عرش الجهل، لتكون نصا دستوريا يتعهد بنصرة الحق فقط، أمّا الباطل فلا نصرة له أبدا، ولهذا إنما تقع النصرة لله ولرسوله وطائفة المؤمنين، وقد حدها القرآن الكريم بنصرة الحق ودين الله تعالى، وبهذا يعمد القرآن الكريم إلى إلغاء العصبيات الجاهلية التي تعتقد بالنصرة لمن كان قريبها أو حليفها من غير النظر إلى حقيقة أمر المنصور، ومن غير النظر إلى حكم الله تعالى في المسألة.

ومن القضايا التربوية التي يعالجها المثل أيضا أن نصرة الظالم بمنعه من الظلم عدالة للآخرين، فقد حقق المثل قضية تربوية وعدالة اجتماعيّة،

---

(1) محمد 7.

تنص على نشر العدالة بين الناس أجمعين، لأنه عندما تقع نصرة الظالم بمنعه من الظلم، يتحقق هدف عظيم، وغاية مطلوبة في المجتمع، هي نشر العدالة التي قام عليها المجتمع الإسلامي السليم، ومحاربة كل من عبث بهذا الدستور، حتى لا تنقض عُرا المجتمع المؤمن الذي يقوم على التواد والعدالة والتراحم، ويسود فيه نظام قائم على مبادئ لا تتزعزع أركانها.

ويطالعنا من اللفتات البيانية في هذا المثل لفظة (انصر)، وإن هذه اللفظة معناها العون والغوث، وأرض منصورة: مغيثة، ونقول: نصر الله الأرض: فسمي المطر نصراً، ومنَ المَجاز: نَصَرَ الغيثُ الأرضَ نَصْرَاً: غاثها وسقاها وعَمَّها بالجَوْد وأَنْبَتها، ومن المعاني المجازية أيضا، وقوف السائل على القوم بقوله: انصروني نصركم الله، يريد أعطوني أعطاكم الله، ومما يثير الانتباه أيضا في لفظ المثل: انصر، وورود الأمر فيه على وجهين، فقد ازدوج أسلوب الأمر بطلبين هما: نصرة الظالم بمنعه من الظلم، ونصرة المظلوم بمعونته: (انصره ظالمًا وانصره مظلومًا).

وأما اللفتات اللغوية الواردة في المثل فمنها قوله: ظالماً أو مظلومًا، يجوز أن يكونا حالين من قوله أخاك، ويجوز أن يكونا حالين من الضمير المستتر في الأمر، والمعنى انصره ظالماً إن كنتَ خصمه، أو مظلوماً من جهة خصمه، أي لا تسلمه في أي حال كنت[1].

وعند النظر إلى صوت (الظاء)، فلا يخفى ما له من أثر في الدلالة، لأن صوت الظاء من الأصوات المفخمة، والتي تعكس شيئا من ضخامة الموقف، وأن ينطلق من فكرة مفادها تعظيم أمر الظلم، فقد استخدم

(1) انظر المجمع 335:2.

صوت الظاء المفخّم في الكلمتين، ليؤكد فكرة رفض الظلم على كل المستويات، وليؤكد شيئا من قوة الارتداد الإيقاعي، ليناسب رفض المستوى الذي يفرزه الظلم من ألم للآخرين.

وأما دلالة الحال في اللفظين (ظالما أو مظلوما) فلبيان واقع موجود، وهو وجود الظالم والمظلوم، فدائما تتواجد النقائض بين الأطراف في الحياة، وفي المثل وُجد الظالم والمظلوم، فحالهما الذي وقعا فيه دائم التكرار والتجدد والاستمرار، وقد وقع كلا الحالين نكرة حتى لا يُعتدّ بشخصيهما، فلا يجب النظر إلى حال الظالم مهما كان شخصه، ولا حال المظلوم مهما كان شخصه.

وقد حمل المثل السابق مشتقين هما (الظالم والمظلوم)، وفي هذا إشارة إلى وجود الأضداد في الحياة، فالنقيضان لا يجتمعان، وكذلك لا يقع اجتماع الظلم والعدالة في آن واحد، أو حتى في مكان واحد، فوجب رفع النقيضين حتى تتساوى دلائل المسألة.

الخاتمة

توصل الكاتب، نتيجة للبحث والدراسة، إلى عدد من النتائج قاده إليها البحث العلمي، وهذه النتائج هي:

- إن كتاب الميداني منهل مهم من كتب الأمثال العربية، لما حوت طياته من كثرة الأمثال العربية القديمة، فهو حقًّا كما أسماه مصنِّفه مجمع الأمثال، وقد صاحب شرح هذه الأمثال أخبارها التاريخية، ودقائق مسائلها النحوية، ولطائف إشاراته على مواطن الحُسن والجمال فيها، إضافة إلى ما لها من ترابط مع أمثال أُخر أشار إليها المصنِّف عند شرح الأمثال.
- إن الأمثال العربية نصوص متماسكة في البنية التركيبية، فمن نظر في الأساليب المستخدمة فيها من صور فنية، وأساليب الإنشاء المتعددة عرف أنها متماسكة البنية، يقوّي بعضها بعضها الآخر.
- إن للأمثال العربية دورًا مهمًّا في التوجيه والإرشاد، فهي بمثابة تجارب جزئية، ولكنَّها ترنو إلى مرتبة الاستغراق والشمول إذا ما غادرت حيّزها الذي ضُربت فيه، وأفاد منها الآخرون.
- نقل الميداني نقولا كاملة عن كتاب حمزة الأصفهاني "الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة". لذا يجب أن يُطابق كتاب حمزة على نص كتاب الميداني عند دراسته، لتمييز ما وقع عند حمزة من الشرح عمّا وقع عند الميداني.

- اشتملت الأمثال على خصائص فنية كثيرة منها:
  - الإصابة في المعنى.
  - قصر العبارة.
  - بلاغة العبارة.
  - استخدام الأساليب اللغوية المتعددة مثل الاستفهام والأمر والنهي والنفي والشرط، التي من شأنها توضيح المثل المضروب، والغاية من ضربه.
  - استخدام الأساليب البيانية المتعددة مثل الاستعارة والتشبيه والكناية وغير ذلك.
- جاءت الأمثال لتحقق غايات تربوية في المجتمع، وتصوب السلوك المذموم في المجتمعات لتنتقل بها من التصرفات الخاطئة إلى الصواب، وتحقق غايات اجتماعية معينة في المجتمع، من شأنها أن تجعل المجتمع أكثر تماسكًا وترابطًا في مواقف يجب أن يكون المجتمع فيها كذلك.
- الصبغة الدينية التي تحلت بها بعض الأمثال العربية، والتي تم استقاؤها من القرآن الكريم، أو الحديث النبوي الشريف، أو الشعر لتسجل أخلاقًا حسنة نمّت عن حسن التفكير، وعظم الهدف المنشود منها.

أمّا توصيات الكاتب فهي:

- عمل فهرسة شاملة مفصلة للكتاب، يتم فيها تخريج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة والأشعار الواردة في الكتاب، وعقد فهرس بأسماء الشعراء، وفهارس بالأعلام الواردة في الكتاب، فهذا كلّه يسهّل العودة للكتاب والاستفادة من مضامينه.
- فهرسة الأمثال من حيث مصادرها (أمثال القرآن والحديث والشعر وأقوال العرب الفصحاء)، وفهرستها من حيث الموضوعات (إسلاميّة وعقديّة واجتماعيّة وتربويّة)، وفهرستها من حيث الأساليب (السردية القولية والقصصية وغير ذلك).
- إعادة تحقيق الكتاب تحقيقًا علميًّا حديثًا ، فالباحثون والمثقفون بحاجة إلى نسخةٍ علميّةٍ محققة للكتاب؛ لأن أفضل طبعات الكتاب المحققة طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد التي ظهرت في وقتٍ مُبكّرٍ، وقد استجد في عالم التحقيق منذ عبد الحميد حتّى الآن معطيات كثيرة. لذا باتت المكتبة العربية بحاجةٍ إلى تحقيق حديثٍ للكتاب يفيد من تلك المعطيات .
- إجراء دراسة مقارنة بين الأمثال الفصيحة والأمثال المولّدة.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

- الأبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد (1986). المستطرف في كل فن مستظرف. ط2، تحقيق د. مفيد محمد قميحة، بيروت: دار الكتب العلمية.

- الأصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضّل(1961). المفردات في غريب القرآن. مطبعة البابي الحلبي.

- الأصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضّل. معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم. ضبطه وصححه وخرج آياته وشواهده إبراهيم شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون.

- الألباني، محمد ناصر الدين (1969).صحيح الجامع الصغير وزيادته. ط1، بيروت: منشورات المكتب الإسلامي.

- امرؤ القيس(2006). ديوان امرئ القيس. ط1، شرح وتعليق د. محمد الإسكندراني ونهاد رزوق، بيروت: دار الكتاب العربي.

- الأندلسي، أبوحيان (1995). النهر الماد من البحر المحيط. ط1، تحقيق د.عمر الأسعد، بيروت: دار الجيل.

- الأنصاري، جمال الدين عبد الله. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك. دراسة وتحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

- أنيس ، إبراهيم (1963). دلالة الألفاظ .ط2، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصريّة.

- البخاري، محمد بن إسماعيل الجعفي(1407– 1987). الجامع الصحيح المختصر. ط2، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، جامعة دمشق، بيروت: دار ابن كثير.

- برجشتراسر (1982).التطور النحوي للغة العربية.أخرجه وصححه وعلّق عليه رمضان عبد التّواب، القاهرة – الرياض: مكتبة الخانجي ودار الرفاعي.

- بروكلمان، كارل. تاريخ الأدب العربي . ط3، نقله إلى العربية (رمضان عبد التواب)، راجع الترجمة يعقوب بكر، القاهرة: دار المعارف.

- البكري، أبو عبيد (1983) . فصل المقال في شرح كتاب الأمثال. ط3، تحقيق د.إحسان عباس ود. عبد المجيد عابدين، بيروت: مؤسسة الرسالة.

- بلبع، عيد (1999).أسلوبيّة السؤال: رؤية في التنظير البلاغي.ط1، القاهرة: دار الوفاء.

- الترمذي، محمد بن عيسى. سنن الترمذي. تحقيق أحمد محمد شاكر، والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

- التكريتي، عبد الرحمن. دراسات في المثل العربي المقارن. معهد البحوث والدراسات العربية .

- الثعالبي، عبد الملك بن محمد (1985).ثمار القلوب في المضاف والمنسوب. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مصر: دار المعارف.

- الجرجاني، عبد القاهر(1973). أسرار البلاغة في علم البيان. ط4، القاهرة : مكتبة القاهرة.

- الجرجاني، علي بن محمد بن علي (1405 هـ) . التعريفات . تحقيق إبراهيم الأبياري ، بيروت: دار الكتاب العربي.

- جرير. ديوان جرير. بيروت: دار صادر.

- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن جعفر (1985).غريب الحديث.ط1، تحقيق د. عبد المعطي أمين قلعجي، بيروت: دار الكتب العلمية .

- الجوهري، إسماعيل بن حماد (1999).الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. تحقيق إميل بديع يعقوب ومحمد نبيل طريفي، بيروت: دار الكتب العلمية.

- الحاكم، محمد بن عبدالله (1411 هـ – 1990). المستدرك على الصحيحين. ط1، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، مع الكتاب تعليقات الذهبي في التلخيص، بيروت: دار الكتب العلمية.

- الحداد، فيصل مفتاح (1998). الأمثال المولدة وأثرها في الحياة الأدبية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري (دراسة تحليلية).ط1، بنغازي: منشورات جامعة قار يونس.

- حلواني، محمد خير (1999).المغني الجديد في علم الصّرف. ط5، بيروت: دار الشرق العربي.

- الحموي، ياقوت. معجم الأدباء، بيروت: دار المستشرق.

- ابن حنبل، أحمد (1999). مسند الإمام أحمد بن حنبل . الأحاديث مذيلة بأحكام شعيب الأرنؤوط عليها، القاهرة: مؤسسة قرطبة.

- ابن خلّكان، أحمد بن محمد. وَفَيَات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. تحقيق إحسان عباس، بيروت: دار صادر، لات.

- خليفة، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الحنفي (1994). كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. ط 1، بيروت: دار الفكر.

- الخويي، يوسف بن طاهر (2000) . فرائد الخرائد في الأمثال. ط1، تحقيق عبد الرزاق حسين، الأردن: دار النفائس.

- ابن دريد، محمد بن الحسن (1987). جمهرة اللغة. ط1، بيروت: دار العلم للملايين.

- الزبيدي، محمد مرتضى. تاج العروس من جواهر القاموس . تحقيق عبد الستار أحمد فراج، الكويت: مطبعة حكومة الكويت.

- الزركلي، خير الدين، (1986). الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين. ط7، بيروت: دار العلم للملايين.

- زلهايم، رودلف (1971). الأمثال العربية القديمة. ط1، ترجمة: (رمضان عبد التواب)، بيروت: دار الأمانة .

- الزمخشري، محمود بن عمر(1999). المفصّل في صنعة الإعراب. ط1، بيروت: دار الكتب العلمية.

- الزمخشري، محمود بن عمر (1995). الكشاف عن حقائق وغوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. ط1، بيروت: دار الكتب العلمية.

- الزمخشري، محمود بن عمر(1982). أساس البلاغة. بيروت: دار المعرفة.

- الزمخشري، محمود بن عمر (1962). المستقصى في أمثال العرب. ط1، طبع برخصة الجامعة العثمانية .

- الزين، سميح عاطف (2001). معجم تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم. ط4، بيروت: مجمع البيان الحديث، الدار الإفريقية العربية، دار الكتاب اللبناني.

- السجستاني، سليمان بن الأشعث. سنن أبي داود. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. مع الكتاب تعليقات كَمَال يوسُفْ الحوُت، والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها، دار الفكر.

- السدوسي، لأبي فيد مؤرج بن عمرو (1970). كتاب الأمثال. ط1، حققه وقدم له أحمد محمد الضُّبيب، الرياض.

- ابن السّراج، محمد بن سهل (1999). الأصول في النحو.ط4، تحقيق عبد الحسين الفتلي، بيروت: مؤسسة الرسالة.

- السلفي، سالم عبد الرب صالح (1999).الخصائص الأسلوبية للمثل في كتاب مجمع الأمثال للميداني. (رسالة ماجستير) ، جامعة عدن، اليمن.

- ابن أبي سلمى، زهير، ديوان زهير. شرحه وضبط نصوصه وقدّم له د. عمر فاروق الطبّاع، بيروت: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم.

- ابن سلمة، المفضّل (1960)، الفاخر. ط1، القاهرة: البابي الحلبي.

- السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر(2006). همع الهوامع في شرح جمع الجوامع . ط2، تحقيق أحمد شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية.

- السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر. المزهر في علوم اللغة وأنواعها. تحقيق محمد أحمد جاد المولى ورفاقه، بيروت: دار الفكر.

- شامي، أحمد جميل (1992). معجم حروف المعاني. ط1، بيروت: مؤسسة عزّ الدّين.

- شاهين، يوسف محمود محمد يونس، (1996). الجملة الفعلية ودلالاتها في مجمع الأمثال. أطروحة دكتوراه، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.

- الشريقي، فواز محمد سليمان (1994).الأمثال في القواعد اللـغوية (رسالة ماجسير)، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (1999). فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير. ط1، تحقيق فريال علوان، الرياض: مكتبة الرشد.

- الشيبي، محمد بن علي العبدريّ (1982). تمثال الأمثال . ط1، تحقيق أسعد ذيبان، بيروت: دار المسيرة ودار بيروت.

- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (1981). الوافي بالوفيات. باعتناء عدة محققين فرانزشتايز: ڤـيسبادن ، ج7.

- الضّبّي، المفضّل بن محمد (1983). أمثال العرب. ط2، قدّم له وعلّق عليه إحسان عباس، بيروت: دار الرائد العربي.

- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد (1991). جامع البيان عن تأويل آي القرآن. ط3، بيروت: دار الكتب العلمية.

- الطرابلسي، إبراهيم بن علي الأحدب (2003). فرائد اللآل في مجمع الأمثال. ط1، تحقيق د. قصي الحسين، بيروت: دار ومكتبة الهلال.

- العبد، طرفة. ديوان طرفة. تقديم وشرح كرم البستاني، بيروت:دار صادر.

- عبد الجليل، منقور (2001). علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي.ط1، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب.

- ابن عبد ربه، أحمد بن محمد (1983). العقد الفريد. بيروت: دار الكتاب العربي.

- عبدالله، أماني سليمان داود (2005). الأمثال العربيّة القديمة دراسة أسلوبيّة سرديّة حضاريّة. أطروحة دكتوراه، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.

- العسكري، أبو هلال (1988).جمهرة الأمثال. ط1، ضبطه وكتب هوامشه أحمد عبد السلام، وخرج أحاديثه محمد سعيد زغلول، بيروت: دار الكتب العلمية.

- عمايرة، خليل أحمد (1987). في التحليل اللغوي منهج وصفي تحليلي، ط1، الزرقاء: مكتبة المنار.

- ابن فارس، أحمد (1979). معجم مقاييس اللغة. تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر.

- الفراء، يحيى بن زياد (1955). معاني القرآن الكريم .ط1، بيروت: عالم الكتب.

- الفرزدق، (1987). ديوان لفرزدق . ط1، بيروت: دار الكتب العلمية.

- الفيروزبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (1986). القاموس المحيط. ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة.

- الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقري. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، بيروت: المكتبة العلمية.

- القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر (2006).الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنته من السنة وآي الفرقان. ط1، تحقيق د. عبدالله بن عبد المحسن التركي، بيروت: مؤسسة الرسالة.

- قطامش، عبد المجيد (1988). الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلية. ط1، دمشق: دار الفكر.

- القفطي، علي بن يوسف (1986). إنباه الرواة على أنباه النحاة.ط1، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، القاهرة: دار الفكر العربي.

- القوجي، محمد بن مصلح الدين مصطفى (1999). حاشية محيي الدين شيخ زاده على تفسير البيضاوي. ط1، ضبطه وخرج آياته محمد عبدالقادر شاهين، بيروت: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون.

- الكناعنة، عبدالله محمد طالب (2007). الصّراع بين التراكيب النحويّة. ط1، إربد: دار الكتاب الثقافي.

- الكندي، خالد بن سليمان بن مهنا (2007). التعليل النحوي في الدرس اللغوي. ط1، عمان: دار المسيرة.

- كنّوني، محمد (1997).اللغة الشعريّة.ط1، بغداد: دار الشؤون الثقافيّة العامّة.

- الماوردي، (1955). أدب الدنيا والدين. ط3، تحقيق مصطفى السقا، القاهرة.

- مجاهد، عبدالكريم (1985).الدلالة اللغويّة عند العرب.

- ابن منظور، محمد بن مكرم. لسان العرب، ط1، بيروت: دار صادر.

- الميداني، أحمد بن محمد بن أحمد. مجمع الأمثال. ط1.

- تحقيق جان عبدالله توما (2002)، بيروت: دار صادر.

- تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت: المكتبة العصرية .

- النسائي، أحمد بن شعيب (1406 - 1986) المجتبى من السنن. ط2، تحقيق عبد الفتاح أبوغدة، الأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها، حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية .

- الهاشمي، السيِّد أحمد (1999). جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع. ط1، القاهرة: مكتبة الإيمان.

- الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر(1412). مجمع الزوائد. بيروت: دار الفكر.

- بني ياسين والربابعة، رسلان وحسن محمد (2001) . المرأة ودلالالتها في مجمع الأمثال.ط1، إربد: جامعة اليرموك.

- يعقوب، إميل بديع (1982). فقه اللغة العربية وخصائصها. بيروت: دار العلم للملايين.

- يعقوب، إميل بديع (1984). الأمثال الشعبية اللبنانية. ط1، بيروت: منشورات جروس.

- يعقوب، إميل بديع (1995). موسوعة أمثال العرب. ط1، بيروت: دار الجيل.

- اليوسي، الحسن (2003). زهر الأكم في الأمثال والحكم. ط1، تحقيق وشرح وفهرسة قصي الحسين، بيروت: دار ومكتبة الهلال.








9789957612016



ناشـرون ومـوزعـون

الأردن - عمان - الجامعة الأردنية - شارع الملكة رانيا العبد الله
هاتف: 00962 6 534 3052 ، فاكس: 00962 6 535 6219
خلوي: 0962 79 555 5279
E-mail:dar.zuhdiforpublishing@hotmail.com